الفصل الخامس

قصص ذات معنى

obeikan.com

obeikan.com

قصة النَّخل الخِضْرِي في الشماسية:

يقول كبار السن تعرضت الشماسية لهطول أمطار غزيرة مصحوبة ببرد ورياح شديدة فدخل السيل العقدة وامتلأت القلبان و"الحسيان" الأحساء بمياه الأمطار وتهدمت معظم البيوت وحصلت حالة غرق راحت ضحيتها زوجة الأمير فوزان بن كليب بن سابق الفوزان.

وبعد أن هدأت الأوضاع ورمم الناس بيوتهم اجتمع بعض أعيان الجماعة واختاروا رجلاً من عائلة الحسينان ليذهب إلى الأمير على انفراد ويلمح له بأنهم يرغبون أن يتزوج وأن له أن يختار من بنات الجماعة. فألمح له بذلك فقال: "ونعم بالجماعة ما يجي قصور ولكن أخبرهم بأنني أنوي مصاهرة التويجري راعي المجمعة" فصاهره. وعندما جاء الأمير بزوجته الجديدة كان معها أخوها الذي أخبر والده بعد رجوعه من الشماسية حينما سأله عن ضيافته فذكر حسن الضيافة. كما أخبر والده عن تمر الشقر وأن الشماسية لا يوجد بها تمر خضري كما هو الشأن في المجمعة وسدير عامة.

وبعد مدة أرسل التويجري من المجمعة فسائل خضري مع صاحب إبل سلمها للأمير فوزان الذي غرس بعضها وأهدى منها، وبذلك انتشرت نخلة الخضري بالشماسية واشتهرت بها على مستوى المنطقة.

من قصص الجوع:

يقول صالح بن عبدالرحمن البليهي: لقد زارني مراراً إبراهيم بن حمد الشائع في بيتي عندما كنت رئيساً للمجمع القروي بالشماسية، وسمعت القصة منه مراراً لم يتغير منها حرف وهي كما يلي:

يقول: جاء بعير هزلان وعندما نطت يداه على الساقي سقط ومات بدون ذكاة. ولما علم والدي بذلك أغلق الباب علينا خشية أن نذهب إليه ونقطع من لحمه. ولما أصبحنا فتح والدي الباب وذهبت أنا وأخي علي وكان أكبر مني وعندما وصلنا البعير لم نجد فيه سوى فراسنه فقد جرى تقطيعه بالليل وعند ذلك بكى أخي علي وقال لوالدي: كيف منعتنا من وجبة البارحة. فرد عليه والدي قائلاً: سيسوق الله رزقاً.

فذهب والدي وأخي علي إلى عنيزة للبحث عن الرزق، أما أنا ووالدتي فقد ذهبنا إلى الرويضات نمشي مع البطين وواصلنا سيرنا حتى وصلنا قصر الرويضات فوجدنا فيه فلاحاً يفرك مليسا بيده فأخذ من الشعير قليلاً بيده وقال: امشوا. فابتعدنا قليلاً وجلسنا بحيث يرانا والشمس

حول المغيب. فلما رآنا جاءنا وقال: امشوا. وحلف ما يعشينا ولكننا بقينا وبعد المغرب هتشنا على القصر وبتنا بدون عشاء ونمنا في بيت الرحى[1]. وجلس الفلاح أيضاً بدون عشاء. وفي آخر الليل قام العمال إلى العمل وقامت بنته لعمل غداء عصيدة للعمال ومن في القصر فقال لها أبوها: زيدي بالغداء حتى نغدي إبراهيم الشائع وأمه. وفعلاً غدونا وشبعنا ثم واصلنا السير حتى وصلنا البرجسيات ونزلنا على محمد العساف وزوجته أختي من الرضاعة فمات بعير أثناء وصولنا إلى بيت العساف فقامت أمي ووضعت صحناً جمعت فيه الدم وقامت بشويه وقدمته إليّ ولم تأكل منه شيئاً حيث آثرتني على نفسها وكنت آنذاك صغيراً. وبعد مضي وقت من الليل جاءت زوجة محمد العساف ومعها قليل من اللحم وقالت والله العظيم يا أمي أنه لم يصلنا سوى هذا اللحم أكلوه الرجال من شدة الجوع أما أنا فقد شبعت من الدم المشوي وبقي منه قليل للغداء في الصباح.

وفي الصباح واصلنا سيرنا حتى وصلنا الدويحرة وكان الفلاح فيها حمد الزيد وكان أغنى أهل الشماسية آنذاك. ووصلنا الدويحرة ودخلنا القصر ولم نجد به أحداً حيث خرجوا للعمل في المزرعة ووجدت مطبقة فوق بيت الرحى وإذا بها حليب فشربته ورديت المطبقة في مكانها وخرجنا راجعين إلى الشماسية ليس معنا شيئاً، فلحقت بنا زوجة حمد الزيد تجري وتقول: وين الطاسة يا بنت الشائع. وعندما وصلت إلينا لم تجد معنا طاسة فرجعت إلى القصر وأخذت كسرة تمر ولحقت بنا وهي تصوت وتقول: يا بنت ابن شائع أوقفي. فواصلنا السير غير ملتفتين إليها وعندما وصلت إلينا أعطتنا التمر. وقالت: سامحوني جزاكم الله خيراً فواصلنا السير إلى الشماسية راجعين بدون شيء يذكر.

من قصص آخر سنة الجوع:

يروي صالح بن عبدالرحمن بن سليمان البليهي عن محمد العبدالعزيز السنيدي قوله: كنت صبياً عند حمد الزيد في الدويحرة وكانت على طريق القصيم سدير-الوشم-الرياض-الأحساء-الكويت، وحدث أن كان الناس يخرجون من بيوتهم من شدة الجوع سنة الجوع. ولذلك يبيت عندنا بالقصر ضيوفاً كثيرون رجالا ونساء وفي الصباح نمشيهم إذ يأتي غيرهم ضيوف جدد. وفي أحد الأيام جاءتنا عشر نساء من عنيزة ولكن في الصباح لم نجد سوى تسع أما العاشرة فقد اختبأت حيث

(١) بيت الرحى: حجرة صغيرة.

اتصلت ليلاً بزوجة حمد الزيد وطلبت منها البقاء لديهم ووافقت الزوجة على ذلك. وأخبرتنا الزوجة برغبتها في بقاء واحدة من النسوة، فدعاني المعزب الزيد وهو يقول: يا السنيدي وين العاشرة. فقلت له: ما أدري. وأنا أشوفها متوزية[1] تحت حمل عرفج وكنت شديد الإبصار أرى من مسافات بعيدة فسيرنا تسعاً مع بقية الضيوف.

وفي الليل قالت زوجة حمد الزيد له: طلبتك. فرد عليها ليس لديّ شيء كل ما عندي هو عندك وعند الصبي السنيدي وطلبت منه السماح للمرأة التي تخلفت فوافق على طلبها وأخذت تعمل معنا في الفلاحة وكانت في منتهى القرامة[2] وحسن العمل. واستمرت حتى دخل الصيف ورد الله للناس بالأمطار، فقالت المرأة لحمد الزيد: ودي أذهب إلى أهلي بعنيزة. قال لها ابن زيد ما يخالف اقطفوا من الشعير واعملوا لها سويقا، الوقت على أول بداية استواء الزرع. فقاموا وجمعوا لها شعيراً وعملوه سويقاً. وقال لصبيه قرينيس: اذهب بمنيرة إلى أهلها بعنيزة على الحمارة. فرد عليه والله يا عم أخشى على نفسي من الفتنة وكانت المرأة بارعة الجمال فقال يا السنيدي: ود منيرة. فقلت له: ما يخالف. وسرنا من عندهم وهي راكبة وأنا أمشي خلفها وعندما اختفينا عنهم نزلت من على الحمارة وقالت اركب فركبت ومشت هي وقد تحزمت بجزء من ثوبها ووصلنا أهلها ووجدنا أمها حية وبعض أهلها فبت عندهم تلك الليلة. وفي الصباح قالت لي والدتها: يا محمد منيرة ترغب بالزواج منك. فقلت لها: أنا صبي ولا عندي شيء وهي بعنيزة وأنا بالشماسية وصعب عليّ الوصول إلى عنيزة. قالت: يكفي اللي يجي منك. فقلت لها: والله إن هالليلة كأنني في سجن ولو كنت أجسر المشي في الليل لرجعت إلى أهلي من ساعتي فودعتهم وخرجت منهم.

ابن يوسف أهل للمسؤولية:

كان عاملاً عند أمير الغاط آنذاك أحمد بن سليمان السديري (رحمهم الله) وفي يوم من الأيام أرسل الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود رسولاً إلى أحمد السديري (أمير الغاط) طالباً منه إمداده بستمائة إفرانسي، فرأى السديري أن يلبي طلب الإمام وعلى وجه السرعة. وأن يستعين بأمير المجمعة حينذاك: عبدالمحسن التويجري وأن يختار لتلك المهمة رَجَّاله -عامله-

(١) متوزية: مختبئة.

(٢) القرامة: الجدّ وسرعة الإنجاز.

عبدالكريم الذي أثبت بأنه أهل للمسؤولية، وحينما عُرض عليه الأمر بمجلس الأمير وبمحضرٍ من كبار وأعيان البلد أجاب بالقبول. عند ذلك ترك له الأمير حق اختيار الراحلة التي سيمتطيها ويكون في مأمن من قطاع الطريق-حيث كانوا كُثُر في تلك المنطقة لاسيما أن هناك إدْمُويِّةٍ[1] من إحدى القبائل يطالبون بدمٍ كان لهم على قبيلة أخرى-فاختار حماراً شُدّت له وِثَارَهْ[2] بالإضافة إلى شملة ومقشعة فَأُعجب الأمير وخاصته بذلك. فركب قبل صلاة الفجر موهماً بأنه سيحش وعند روضة حطّابه المعروفة وجد "حشاحيش" المجمعة فتسلل بينهم وهو مُتَلثّم ويقشع من العشب ويتقدم شيئاً فشيئاً حتى اختلط بهم. وفي المساء صاح الصيَّاح للحشاحيش بأن يَحملوا حشيشهم ويتجهوا للعقدة. حمَّل حماره ومشى معهم ودخل العقدة التي تُفتح للحشاحيش في الصباح وفي المساء عند عودتهم.

وقصد قصر التويجري الذي رحَّب به وأمره أن يُنَزِّلَ حمله خارج حوش الإبل ولكن عبدالكريم قال الحمل هديَّة مني لك. فسأله ما الخبر فقال أنا رسول من أحمد السديري وهذا مكتوب منه. فقال له التويجري الصَّباح إن شاء الله يكون خير ولكني أخاف عليك وعرض عليه حصاناً فلم يقبل زيادة في التنكر.

وقبل صلاة الفجر أُحضِرَ المبلغ كاملاً فحشاها عبدالكريم بالوثارة بدلاً من التبن. وبعد صلاة الفجر وقف مع الواقفين عند باب العقدة ينتظرون فتحها فلما فتحت خرج معهم وفي المحش أخذ يحش ويتقدم شيئاً فشيئاً حتى أبعد عنهم فواصل السير على الحمار محملاً عشباً حتى دخل الغاط في المساء فسلمها للأمير أحمد.

وفي الليلة الثانية اختار الامير أيضاً عبدالكريم لإيصال المال إلى الإمام وكان مخيماً بأحد شِعاب أشيقر فركب بكرة كانت مشهورة لدى السديري. وقبل صلاة الفجر وصل المخيم وهُدي إلى خيمة الإمام وكانت في مقدمة الخيام فخرج الإمام وهو يقول وش أنت يا ساري الليل فقال عبدالكريم مرسول خالك فرد الإمام قائلاً: معك الوصاة فأجابه عبدالكريم قائلاً: أبشر بالخير يا طويل العمر.

---

(١) إدموية: ثارات.

(٢) وثارة: وِقاء محشي بالتبن.

وبعد صلاة العصر قال الإمام لمن حوله وهو رافع يد بن يوسف بالحرف الواحد (يا أهل أشيقر من يعشي مرسول خالي؟) فقام أحدهم بسرعة وقال: أنا يا طويل العمر. فذهب معه فأكرمه، ثم رجع إلى المخيم وصلى المغرب مع الإمام فقال له بعد الصلاة عساه عشَّاك فقال: وْنِعِمْ عشاني ولا قصَّر وحلف أن يعشي الذلول ذرة. فقال الإمام إذهب بالذلول بعد العِشاء حتى إذا كان عنده "علوق يعلّق" عليها.

ومما قال له الإمام: يا ولدي مع تعبكم وفقركم والله إنكم بخير أنا يا ولدي ما أنام الليل وأخاف على كل شيء ومما قال: إن عطاني الله الحكم فحقك عندي وإن ما عطاني الله فأنت وأمثالك أول من يَعْذُر. وقد توفي عبدالكريم بن محمد اليوسف عام ١٣٨٥هـ.

عبدالعزيز ذو ذاكرة خارقة:

في آخر زيارة قام بها الإمام عبدالعزيز رحمه الله إلى القصيم راح عبدالكريم بن محمد بن يوسف الغانم مع مَنْ راح للسَّلام على الإمام وكان "يُخرِّج"[1] الناس فلما أراد الدخول عليه رأى الواقفون على المدخل أن "يُخرِّجوا" هذا الشايب ويكسوه ويرجع مثل الناس ولكنه قال: أنا لا أريد "الخراج" أنا أريد الإمام. فسمعه الإمام وأخذ يصوت ويقول: إنَّا عَارْفِينك إنَّا عارفينك يا ابن يوسف أدخلوه أدخلوه. فأدخلوه فسلّم على الإمام وتكلما كثيراً في الماضي وأمر له بثلاثمائة ريال اعربي وثوبين وشماغين ومشلح جُعلت له بِكيْس خامٍ حملها على كتفه وودع الإمام ورجع إلى الشماسية وتزوج في الليلة التالية.

من قصص سنة الجوع:

يقول أحد كبار السن سمعت إبراهيم بن حمد الشايع رحمه الله يقول: ذهب والدي رحمه الله سنة الجوع عام ١٣٢٨هـ إلى عنيزة طلباً للرزق وتركني ووالدتي تحت رحمة الله فخرجنا ذات يوم واتجهنا إلى البطين قاصدين قصر الدويحرة حيث يزرع فيه حمد الزيد (وهو من قرابتنا) لعلنا نجد عنده شيئاً نأكله فدخلنا الدويحرة ونحرنا[2] ساقي الماء فوجدنا عليه طُويْسَة بها قليل من اللبن فشربته فإذا

(١) يعطيهم نقوداً وكسوة.

(٢) قصدنا.

بزوجة حمد مقبلة معها ثلاث أو أربع رطب فأكلناها وعدنا إلى البرجسية فإذا بهم يذبحون فصيلاً[1] فأعطونا قطعة من اللحم وهو ما أمكننا اللحاق به.

يقول ثم واصلت وأمي إلى قصر مُفَرِّج وكان به محمد يفرك "سبل" سنبل مليسا فأعطانا منها بيده وقال لا تمرحون عندنا القصر مليان جَوْعَى وحلف بأن لا يعشينا ولكننا مصرين على البقاء هذه الليلة بقصر مُفَرِّج حيث أن الليل مقبل وأملنا بشيء نأكله فلما غابت الشمس ذهبنا إلى معالف البعارين واختبأنا بها.

فلما انتصف الليل فإذا بمحمد واقف على رؤوسنا ثم انصرف إلى خان العلف وأخرج قرعة كانت مدفونة بالعلف دفنها للحاجة القصوى وأيقظ زوجته لتطبخها لنا بقشورها بماء وملح ففعلت وقدمها لنا فأكلناها وقال سامحوني ياعيالي. فعلمنا بأنه لم ينم ولم يتناول شيئاً من المليساء التي كان يفركها بيديه حيث أنّبه ضميره. رحمة الله على الجميع.

وقصة أخرى في سنة الجوع:

في عام ١٣٢٨هـ وقيل أواخر عام ١٣٢٧هـ عم الجوع معظم بلدان نجد فجلا كثير من أهلها للعراق والشام وغيرهما ومات الكثير من الناس جوعاً وأكل القصيل والبرسيم والسرح وجمار النخل والأعشاب والجلود والنوى ودُقت العظام والتهمت. وكان للمواطنة مزنة بنت عبدالله بن محمد البديوي والمواطن عبدالله بن عثمان بن يحيى العثمان مواقف عظيمة في التخفيف من آلام الناس بالشماسية في تلك السنة حيث اتفقا على إطعامهم مما هو متوفر لديهما فكانت مزنة رحمها الله تكلف جاراتها بطحن الذرة والشعير وشيء من الحنطة فتخلط من دقيق ذلك وتعجن ملء إحجري[2] وتعمله مَصَابِيبَ[3] على المقرصة فقد كان العيش متوفراً عندها نتيجة لكونها تمنح الفلاليح الصاع والصاعين ليزرعوه ويردوا لها ذلك بعد الحصاد وزيادة فيتجمع الفقراء عند بابها في الصباح صفاً منتظماً بحي البدع فتعطي كل واحد منهم مصباباً، فإذا أضحى الضحى ذهبوا إلى

(١) فصيل: صغير البقرة.

(٢) إحجري: قدر كبير.

(٣) مصابيب: أرغفة تعمل بطريقة صب العجين اللين.

عبدالله بن عثمان بالطبيق أو بالوسيطاء الحي المعروف في الوقت الحاضر بالعلياء. الذي تزهَّل[1] بالمشاركة بإطعام الفقراء من صوبةٍ كانت عنده مملوءة بالتمر فكان رحمه الله يُلَبِّد التمر لُبَداً ويجمعها في زنبيل من سفيف فإذا اصطف الفقراء خرج إليهم وأعطى كل واحد واحدة. وقد استمرا رحمهما الله على هذا العمل العظيم قرابة أربعة أشهر حتى أغيث الناس وربَّعت الأرض فَدَرَّ الضَّرع وكثر الخير جزاهم الله خير الجزاء.

أيتام في سنة الجوع:

يروي حمد بن حمود بن سلطان البازعي عن أبيه قوله نزل على والدي سلطان وعمي علي بقصرهم بنت عمرها نحو خمس سنوات ممسكة بيد طفل لا يتجاوز عمره ثلاث سنوات يبكون وعليهم آثار الجوع والبؤس فحضنوهما وأدخلوهما بالقصر وهما يسألان عن أمهما وإنها مريضة بهذا القصر، كما أوحي إليهم بذلك. وكان نزولهما من حافة الجبل المطل على القصر قرب حلول غروب الشمس فلما استطلعوا الأمر فإذا بآثار رَكبٍ مرَّ من خلف الجبل فعرفوا بأنهم أيتام وقد رأى أعمامهما أو مَن هم معه أن يتركوهما عند أهل هذا القصر الذي تتوفر به النخيل لعلهما يعيشان. وقد عاشا حتى كبرا فزوجَّوا البنت أما الولد فإنه لمَّا قارب الخامسة عشرة طلب الذهاب إلى عشيرته فذهب.

من قصص كرم حمد الشيب:

كان حمد الشيب رحمه الله فلاحاً بالزرقاء وأحياناً لا يوجد لديهم أي طعام وكان عموم أهل نجد يعيشون آنذاك في فقر وجوع فاستضافه رجلان في أول الليل فشب لهما النار ورحب بهما ثم ذهب إلى الشماسية ورهن عباءته عند مهذاب رجل يبيع الطعام فاشترى منه طعاماً قليلاً وأتى به أهله فقاموا بطحنه ثم طبخه وعند نضوج الطعام قامت أم العيال بإطفاء النار حتى لا يرى أهل البيت الطعام لأنهم جوعى وقلطه للضيوف وحدهم وبات أهل البيت بدون عشاء رحم الله الجميع وعوضهم عما فات من لذّات الدنيا بلذات الآخرة وقد أعجبت أخته ثريا الشيب بما صنع أخوها فقالت قصيدة رائعة تمدح أخاها منها هذا البيت:

إذا لفوه الضيـــوف يفـــرح بهـــم لو كان العشـــــاء عنـــد مهـــذاب

---

(١) التزم.

قصة محماس العتيبي:

يقول يحيى بن عبدالله بن سليمان المطرودي: كان الناس في الماضي في حاجة شديدة وخصوصاً عندما يقل المطر وقد أتى على الناس سنين شديدة هلكت الماشية وكانت هي الدعامة لمقومات الحياة.

يقول ذهبت إلى نفود الشماسية أمشي على قدميّ وشاهدت بالخبيب بيت شعر وقصدته وعند وصولي إليه وجدت رجلاً قد ظهرت عليه الفاقة والفقر وحالته التي لا تسر فرحب الرجل بي وصب لي فنجان قهوة وسألته من أين أتى حيث لا يوجد له أي ماشية فقال له الرجل أنا من العتبان أتينا من الجنوب ذكر لنا خطيطة وسم وقد هلكت الماشية في طريقنا وأخذ بعضنا يتخلف وليس مع الآخرين زيادة إبل تحمل أثاث الآخرين.

وهلك آخر بعير لي وقال جماعتي: أنت الآن قرب بلدة، اسمع السانية اذهب وطح بها البلدة والله يسهل أمرك. يقول يحيى بن عبدالله المطرودي: فبشرته بالخير وقلت له اذهب معي إلى الشماسية أنا والله العظيم ما أملك من الدنيا شيئاً الآن، ولكن أدلك على رجل ينقذك إن الله أنقذك هو عبدالرحمن بن سليمان البليهي. وذهبنا معاً ووجدنا البليهي في نخله وأشرت إليه فذهب إليه وعرض عليه حالته فأعطاه بعيراً وحماراً. فقال هات عيالك عليها وانزل عندنا وأمورك إن شاء الله ميسرة وفعلاً أحضر عياله ونزل عنده وتحسنت أوضاعه وأصبح عياله يرعون إبل وأغنام الشماسية وأصبح من أهل الشماسية.

حِمى الأمير:

كان للأمير فوزان بن عبدالله بن فوزان الفوزان حمى غرب (مشرفة) لإبل السواني، وكان يومها مزارعاً بملكهم المسمى مشرفة. وفي ذات يوم وجد فيه بنات الحي يحشن فطردهن فشكونه إلى أخيه محمد فقال رحمه الله مازحاً من أجل بنات الحي:

يا مير ما عندك إلْحي وقارا ... حتى أشْقَر المجدول ما تِنْعَوي[1] له

نِجْيك يا الخايب اضحى النهارا ... لِحْماك بِوْسَاع المراحِلْ[2] نِشيْله

(١) تنعوي: تلين وتعطف عليه.

(٢) المراحل: وعائان من الوبر مرتبط بعضهما ببعض تنسف على ظهر الدابة يشبهان المزودة.

فرد عليه الأمير (رحمه الله) قائلاً:

شرَّعْت شُومي[1] بظْهـــور السّـــمارا كِلّــه إلْعيْــن كِــلْ عوصــا جليلــه

اللــي كِتَبْهــا شـــارعٍ بالفِقـــارا نِشَفْ عَرَقْهـــا بالمنــاحي الطّويلــه

من همهــن بــاتت إعيونــي ســهارا لا شفتها عنــد المحــارف ثِقيلــه[2]

الجراد تُشدُّ له الرِّحال:

يستعد القادر من الناس في الماضي لأسراب الجراد التي تأتي في أواخر فصل الشتاء أو أوائل فصل الربيع إذ إن له أهمية بالغة للناس فيشدون إليه الرحال. فإذا مرت أسرابه جدوا في معرفة مكان مبيته -مِراحه- بواسطة رجل يطلقون عليه اسم (مُمرِّح) عادة يشترط فيه النشاط والحيوية حتى يستطيع أن يلحق بالجراد خاصة إذا مرت أسرابه آخر النهار لأنه يقع عند غروب الشمس فلا يطير إلا في اليوم التالي. فإذا وجده (المُمرِّحْ) رجع في الحال كي يخبر الناس بمكانه فإذا وصل أعلن الخبر منادياً بأعلى صوته في الشويرعات والبراحات قائلاً: (يا جَرِّدُوه) ترى الجراد بالمكان الفلاني ويسمى المجرِّد. عند ذلك ينتشر الخبر ويتجمع الرجال ويعينون رُوَّاداً مهمتهم يَرُودُون مكان الجراد ليتأكدوا من أن الجراد مازال في "مَمْرَحِه" بشرط أن يعودوا بالخبر في وقت محدد.

فإذا تأكد الرُّواد. حَمَلَ الجرَّادةُ عدولهم وما لديهم من خياش وبعضهم يستعمل ثيابه على الجمال والحمير ومنهم الراجلة فيذهبون إلى مبيت الجراد فيصلون إليه قبيل الفجر غالباً لئلا تطلع الشمس فيدفأ فيطير قبل أن يملأوا أوانيهم وهو نوعان ذكور ويسمى "زُعير" ولونه أصفر. وإناث ويسمى "مِكْن" ولونه أحمر قاتم، وهو المفضل طرياً ويابساً.

وبعد رجوعهم محملين بالجراد يبدأ الطبخ في قدور "الحجاري" يطبخ بالماء والملح فقط مدة طويلة -حتى تتفقع عيونه-!! وبعد نضجه يرفع من القدور -ويسمى ذلك نقوعة ويؤكل طرياً- وينشر في السطوح فإذا يبس حفظ بالخياش أو الحياض داخل القباب والأحواض في الرواشن

(١) شومي: عصا غليظة من الخيزران.

عوصا: الناقة المطواع المعناة.

(٢) المحارف: منحرف إبل السواني بآخر المنحاة للصب وبأولها عند المعدَّل لملء الغروب.

فيأكلون منه طول السنة يابساً أو مضافاً إلى المرقوق والمطازيز أو العصيد وأفضل أكلة منه هي أكلة النقوعة وهي بقايا الجراد بالقدور بعد الطبخ مباشرة.

من قصص المعاناة:

يروي صالح بن عبدالرحمن البليهي أن والده رحمه الله قال: كنت صاحب حملة من الإبل تقوم بنقل البضائع من الأحساء وأبو عينين إلى الرياض والقصيم وفي إحدى رحلاتي اشتريت ناقتين وسرنا إلى الأحساء وفي الدهناء بتنا وقد سهي على الراعي عقل الناقتين فسارتا ليلاً حيث تذكرتا راعيهما وموطنهما. وفي الصباح حمّلنا البضائع على الإبل الموجودة لدينا وقلت لأصحابي سيروا في طريقكم وأنا إن شاء الله الظهر عندكم ومعي الناقتين وهن قريبات منا ما أمداهن يبعدن. وتركت خرجي وملابسي وخرجيتي على ذلولي وركبت ذلولاً أخرى ليس عليها سوى الشداد وقربة صغيرة وقليل بقل وسرت في أثر الناقتين وإذا هما قد سارتا أول الليل في اتجاه عكس مسيرنا وسرت طول النهار حتى غربت الشمس. وعند ذلك نزلت وقيدت الذلول خشية أن تجفل وصليت المغرب وجعلت البقل في طاسة وصببت عليه ما معي من ماء. وجلست قريباً من الذلول وهي ترعى وقد ابتعدت كثيراً عن خوياي لأن سير كل منا عكس الآخر. فتصور حال رجل أمسى بالدهناء وحده ليس معه ماء ولا طعام ولا حوله أنيس لا شك أن الموقع موحش وكان والدي رحمه الله قوي البأس لا يعرف الخوف.

قال: وبعد ما صليت صلاة العشاء الآخر شاهدت ناراً قدحت من بعيد فرسمتها بنجم وأطلقت قيد الذلول وسرت صوب النار وكذلك الذلول رأت قدحة النار فسارت الذلول وقد صكت أذناها نحو النار التي شاهدناها ثم اختلفت لا تميل الذلول عن الاتجاه يميناً ولا يساراً وفي هود من الليل وصلت إلى بيت شعر كبير أهله من عرب الدواسر أهل إبل وغنم فرحبوا بي وأكرموني غاية الكرم. وكانت هذه الأسرة أخوين شابين كريمين ووالدتهما وأخواتهما وكان عليّ ثياب رثة وهي ثياب النوم لأن ملابسي تركتها بالخرج مع الحملة لأنني سوف أرجع إليهم قبل الضحى وكانت والدتهما تحتفظ بقماش أبيض جديد كفناً لها فخاطته لي فلبسته قبل أن أنام فجزاهم الله خيراً. وقد سألاني عن اسمي وعن بلدي فأخبرتهما أن اسمي عبدالرحمن بن سليمان بن محمد البليهي وأنني دوسري ومن بلدة الشماسية بالقصيم وأن أكثر سكان الشماسية من الدواسر وأن أمير البلدة من

الدواسر. والذي جعلني أخبرهم بذلك أن بعض البدو تعرضوا لبعض القوافل واشتكوا أصحاب القوافل على الأمير عبدالله بن جلوي رحمه الله عند أول إمارته للشرقية فما كان من الأمير ابن جلوي إلا أن أدب الذين تعرضوا للقوافل أدباً شديداً ومن أجل ذلك أصبح الدواسر يكرهون "ارحيل" كراهية شديدة.

ثم يواصل والدي رحمه الله الحديث عن هذي الشابين الكريمين فيقول: زاد إكرامهما لي ورحبا بي ترحيباً كثيراً وقالا نحن نسمع عن الحمائل الذي يسكنون الشماسية من الدواسر ومن ضمنهم أسرتك.

وفي الصباح أمر الأخ الأكبر مانع على أخيه الأصغر فلاح أن يسير معي للبحث عن الناقتين فسار معي ومكثت أنا وإياه خمسين ليلة أغلبها بالدهناء ثم الأحساء وكان يسير أمامي ماشياً لا يركب إلا نادراً ويسأل العربان عن الناقتين فيردون عليه ما شفتناه[1].

وعندما أردنا التفرق بالأحساء أعطيته خمسين ريالاً فرنسياً وكان هذا المبلغ كبيراً في ذلك الوقت فرفض أخذ الدراهم وحلفت عليه ولكنه رفض كلياً وقال ما يسمح أخي مانع أن آخذ منك شيئاً لأنك ابن عمي.

ويقول والدي -رحمه الله- كان شاباً حسن الخلق والحلم وسعة الصدر صبوراً قوي الجسم عالي الهمة، وكان يهرف أمام الذلول إهراف الذيب طول النهار وهو طويل القامة، ولقد تعرضنا خلال هذه المدة لتعب ونصب ومشاق عظيمة ولكن هذا الشاب كان دائماً بشوشاً يضحك حجاجه والله لن أنسى ذلك الشاب حتى يواريني التراب.

ويقول والدي: أصابتني الحمى بعد فراق خويي الدوسري فمرضت ولا يوجد في ذلك الوقت مراكز صحية أو مستشفيات تعتني بالمرضى، وجاء جماعة من أهل بريدة فجعلوني عندهم. وقالوا هذا من جماعتنا ولما علم محمد الغنيمان والد الشيخ عبدالله المحمد الغنيمان المدرس بالجامعة الإسلامية أخذني عنده وقام بخدمتي وأثناء مرضي توفيت زوجتي وولدي منها ثم توفي والدي وجاء الخبر إلى الجماعة بالأحساء فقالوا من يعلمه بذلك فقام عيسى الدحيم فعزاني بهم وقلت له: أنا رجلي بالقبر ويمكن ألحق بهم.

(١) أي ما شفت أنا هو. وهي من نطق البدو الذي يتصف بالسرعة والاختزال.

رحلة على الأقدام عبر الجزيرة:

في أواخر شهر رجب من عام ١٣٦١هـ يقول عبدالله بن ناصر بن فايز العقل رحمه الله: كنت عاملاً مع صالح الهيَّاف والعايدي ومعهم ١٢ بعيراً هزيلاً ومشينا "سَنْدنا" راجلين من الشماسية قاصدين مكة وفي طريقنا وردنا العاقري ثم الشبيكيه ثم الدفينه ثم إميِّه هكران فمارد مُرَّان ثم عشيرة ووادي العقيق وأحرمنا من الضريبه فحلَّ شهر رمضان المبارك فَصُمْنَا يومين قبل دخول مكة المكرمة وفي مكة بحثت عن شغل فلم أجد.(١)

وقد اهتديت إلى رجل من الجماعة (اسمه بن عُرَيْميْط) يعمل بشرطة مكة وكنت قد أسلفته مبلغاً من المال فطلبته إياه لعلِّي اشتري ثوباً وحذاءً حيث بلى ثوبي وتَقَطَّعَتْ نَعْلِي من المشي فقال ما عندي ما أعطيك ولكنه استدان لي ثوباً فلبسته.

أما أهل البعارين فقد أجَّروها لِحَملْ قهوة فحملوها قاصدين حايل فصاحبتهم نمشي راجلين وفي طريقنا مررنا بمارِدٍ بوادي فاطمة ثم الثول فرابغ ثم مستوره ثم بدر وسلكنا وادي بدر إلى المدينة المنورة فبحثت عن عمل في المدينة فلم أجد.

ثم واصلنا السير إلى حايل ومررنا بمواردٍ كثيرة لا أعرف أسماءها فلما وصلنا حايل طلبت من "المعازيب" أجري فاعتذروا لأنهم لا يملكون شيئاً يُكَافُوْنَنِيْ به فعذرتهم وطلبت منهم الإذن فقال الهيَّاف مرخوص يا خال والذي لِك تلقاه إن شاء الله.

فذهبت من عندهم أسأل عن عُقَيْل فوجدت أنهم على خضراء ولينة فوجدت رجلاً اسمه محمد المعجون ومشينا راجلين مع أهل خمسة بعارين وأحدهم اسمه البْذِيخ والآخر اسمه العضيبي يريدون خضراء ولينة فمررنا ببقعاء ثم الشُعَيْبات وتربة ثم خضراء ووصلنا لينة ليلة ثامن فأضفت أنا وصاحبي عند رجل من الجماعة هو ابن ضُبَيَّان العنزي فأكرمنا جزاه الله عنَّا خيراً وسألناه عن العُقيلات، فقال: العقيلات سافروا قبل عشرة أيام فَبِتْنَا عِنده. وفي الصباح مشينا مع عماله إلى الشبِكة نريد العراق راجلين والشبكة مركز من مراكز العراق وبتنا عندهم ثلاثة أيام ورجال ابن ضبيان راحَوا ورِجَال المركز يُخَبُّونَنَا -يخفوننا- عن رئيسهم (أبو حُنيك) ولكنه كشف أمرنا فسأل عنا وقال

(١) كان من ضمن الذين يشتغلون بالشرطة حينذاك إبراهيم اللاحم وبداح البازعي وإبراهيم بن محمد اليوسف. ولقد قالوا لصاحب القصة لا تشتغل فنحن لم نسلم رواتبنا منذ مدة ثمانية أشهر وهلكنا من الجوع.

له زملاؤه: هؤلاء عابري سبيل جاؤا مع رجال ابن ضبيان وتركوهم عندنا فعرض علينا التجنيد ونجمتين فلم نرغب.

وفي اليوم الثالث حملت مِزْودتنا على ظهري وسلكنا طريق المنقّا رِجْليِّه ومشينا ثلاثة أيام ما ذقنا فيها الماء ولا الزّاد وفي آخر ليلة ثالث رأينا بصيص نار بعيدة فرسمنا جِهتها بإحدى النجوم حتى وصلنا "حروتها" فوجدنا بيت خيش لأحد رعاة العراق وزوجته وطفل كان يوقد النار ببعض أعواد العرفج في أول الليل وكُنّا قد استدركنا[1] ولكن جعل الله لنا حياة بسبب هذا الطفل.

فلما سَمِعنَا رحَّب بنا وعملت لنا زوجته مرهافاً[2] سَدَّ جوعنا وبتنا عنده تلك الليلة. وفي الصباح واصلنا السير راجلين حتى وصلنا مكاناً يقال له (عين الرَّحْبَة) فأقمنا فيها ثلاثة أيام بعدها تفرقنا رفيقي أشمل وأنا أجنبت فأمضيت ثمانية أيام حتى وصلت السماوة فمررت رجلاً كريماً اسمه ابن عسَّاف فأكرمني "وطيَّب فالي" وقلت له: إني أُريد الزُبير. فَدَلَّنِي على صاحب سيارة قصيمي من الجماعة لم أعرف اسمه فاتفقت معه على أربع ربيات نقداً فبعت مزودتي وشُرُوث نعال وخيزرانةٍ - عصاً- وذلك كلُ ما أملك وجمعت له الأجرة وبقي معي ثلاث ربيات ونصف ربية وركبت معه فلما وصلنا الناصرية شاقني خبزٌ يُخْبَزُ بها فاشتريت خبزاً بنصف رَيَّة ثم واصلنا السير حتى الزبير فأردت شراء أكل فإذا باقي الربيات قد ضاع مني وأظنه سقط عندما اشتريت الخبز في الناصرية فضاقت بي الأرض وأخذت أبحث عن أي عملٍ فلم أجد فَبِتُ تِلك الليلة وفي الصباح واصلت البحث دون جدوى فدخلت على نجَّار في خانه وقَصَّيت عليه ما جرى لي وأنني غريب فقال: اذهب إلى الحَاج ابن بسام صاحب قصر كبير فهو يتلقى ابن السبيل والضيوف فصليت معه المغرب وبعد الصلاة سلَّمت عليه فدعاني لمجلس آوى فيه ضيوفاً غيري فلما انصرف من بالمجلس. قلت له: نقودي ضاعت بالناصرية بالعراق. فقال: يا ولدي كثير اللي تضيع خرجيتهم إذا جاؤا إلى تلك الديار. فقد أساء الظن بي. فبادرته وقلت: يا ابن بسام ما ناب من الذين تَقْصِد أنا أتيت من ديرتي الشماسية إلى مكة ثم المدينة ثم حايل حتى وصلتك حفيان عريان أدور المعيشة والستر. فاعتَذَرَ واسْتحلَّني فحلَّلته وقال لرجل عنده: إذا قهويته وفطَّرته الصبح إذهب معه حتى يطلع من الزبير لئلا تمسكه الشرطة ففعل ووصَّف لي

(١) أي أجهدنا الجوع والتعب والظمأ.

(٢) مرهاف: قرص.

جادة اسْفَوَان (صفوان) فمشيت حتى وصلتها فسألت عن رئيس المركز فإذا هو شمري فقابلته وقلت له أنا عابر سبيل من جماعتك (شمري مثلك) وأريد الكويت ولكن ما معي جواز فقال: اركب مع راعي "ها الزمِل" وزوجته وكان معهما ثلاثة بعارين فركبت معهم صبح اليوم الثاني فوصلنا قومه ثلث الليل وبتُّ عندهم تلك الليلة وفي الصباح مشيت من عندهم رِجْلي فلما بانت الجهراء وقربت منها وجدت السواجي (من الجماعة) يرعى جملاً وحماراً فسلمت عليه وسألته عن الجماعة بالكويت. فقال: إذا وصلت الجهراء أقصد المجلس وأول من يلاقيك هو "امْعَزِّبك" فقصدت المجلس وتَركّيْت على مراكي مُعدَّة للجلوس فجاء شابٌ شهم فسلّم عليَّ وقال تفضل فأحضر لي الماء والحطب والقهوة والهيل وقال اخْدِم نَفْسِك فَأَشْعلت النار وعملت فنجال قهوة أقْعَدَ رَأسي وتَلَيَّنْت فأرسل مصابيب أكلت منها حتى "لَزِّيْتُ ضِلْعِي من القهوة والمُصيبيبَات" أي شبعت.!!

وبعد صلاة العشاء الآخِر شدَّ حماراً وحمَّله برسيماً لِيُوصِلَهُ إلى الكويت فصاحبته. وفي الكويت بحثت عن شُغلٍ فاشتغلت ستة أشهر كاملة وحصَّلت مبلغاً يسيراً فَتَشَارَكْتُ مع ابن سُوَيِّل بناقة اشتريناها بخمسٍ وخمسين ربية شلنا عليها بضاعة وزهابنا وطلعنا من الكويت نريد (أمَّنا) نجداً مع حملة ابن غضية.

وفي أثناء الطريق قال شريكي: اركب يا أبو صالح قِلت: اركب أنت. فأقسم ألا يركب وأقسمت ألا أركب حتى وصلنا الشماسية مشياً على الأقدام.

مغلوث الجهراء:

في عام ١٣٣٦هـ كان محمد بن حمد بن عبدالله السنيدي (رحمه الله) أجيراً عند أخي أمير الجهراء بالكويت في مزرعة لَهُ محاطة بسور ومن داخله أثل وفي إحدى الليالي المقمرة بينما هو يروس في أقصى الحوطة شاهد كلباً يدخل الحوطة من إحدى العِراص متجهاً نحوه مع ساقي الماء (كأنه يعلم بأن بمنتهى الساقي أحداً ليهجمُ عليه) فاختبأ عنه بقصب الذرة لعله يتعدى إلا أنه اتجه إليه فعرف أنه (المغلوث) المصاب بداء الكلب كما يسمونه الذي يُشاع في القرية بين الآونة والأخرى أن الذئب المغلوث أكل عنزة فلان أو حمار فلان حتى إنهم لا يبرحون القرية ليلاً.

فقذفه بالمسحاة فأخطأته فقفز الذئب يريد وجهه ووضع يديه على كتفي محمد ومحمد مسك حلق الذئب بكلتا يديه وسقطا على الذرة وأخذ الذئب يحاول عضه ويضربه بذنبه ويحفر

بأظافره ما يليها حتى جرحه ومزَّق ثيابه وهو يزيد من الضغط على رقبته ليكتم أنفاسه ويصوت لعمه (مُعزِّبه) يا بو عثمان فجاء على الصوت وهو يقول: وش فيك يا محيميد. فقال الذئب: تحتي إذبحه قبل أن يأكلني. فأخذ المسحاة على خَوفٍ ولم يتمكن من عمل شيء فأسرع المعزب إلى الدار وجاء بسكين بقر بها بطن الذئب.

وفي الصباح شاع خبر مصرع المغلوث وأن الذي صرعه هو النجدي (محمد السنيدي) ففرح العامة. وأراد مُعَزِّبه أن يكافئه بمحضرٍ من أهل الحي فأعدَّ وليمةَ عشاءٍ دعا لها الكبار والصغار فلما انتهوا من أكل تِلك الوليمة الدسمة أراد أن يصف لهم ما حصل البارحة فقدمه بصدر المجلس وصور لهم ما حصل لمحمد وبعدها أهداه ثوب خام وشال مزين بخطوط عنّابية وذهبيَّة وعشرُ رُبِيّاتٍ وانفض الجميع فرحين بمقتل مصدر خوفهم ومعجبين بشجاعة النَّيْدِي (النجدي).

وطلبوا منه يوماً أن يطارح[1] أجيراً من أهل نجد معروفاً بالوسامة والقوة وسبق أن صارع ولد الأمير (اهنيدي) فصرعه وبعد إلحاح نزل على رغبتهم فهو مضطر لإثبات شجاعته فواعدهم الليلة القادمة عند النثيلة مكان تِعْلالِهم بعد مغرب كل يوم فاجتمعوا وحضر محمد ذلك الوسيم فتماسكا فهمس محمد بأذنه قائلاً أنا وأنت غُرباء ومصيرنا واحد فلنتماسك ونتلاوى دون أن يُسْقِط أحدنا الآخر. ولكنه جهر قائلاً (حِنّا لا تماسكنا ما فيها إلا اللي فيها) يريد إسْماع الحضور فعزم محمد على مصارعته مادامت هذه رغبته فأخذا يتلاويان مِراراً حتى أحسَّ محمد بأنه تعب من رائحته فشده على خصره بقوة ثم نهضه على كتفه الأيمن وقال: وين أجدعه فيه يا طويل العمر فقال: "بالمصون" (حظيرة حيوانات) ففعل. يقول وصار بينهما صداقة حتى رجعا إلى نجد (رحم الله الجميع).

حملة الحج عام ١٣٤٩هـ:

خرج بيرق حاج الشماسية عام ١٣٤٩هـ وقيل عام ١٣٥٠هـ من ضمن ٤٠ بيرقاً من مختلف مدن وقرى القصيم وكان رئيس البيارق هو كبير أهالي بريدة: فهد بن علي الرشودي (رحم الله الجميع)، وممن تحت بيرق أهالي الشماسية:

١- مزيد بن محمد بن مزيد المزيد.

٢- عبدالعزيز بن ناصر الحبيِّب.

---

(١) يطارح: يصارع.

٣- سليمان بن عبدالرحمن الحسينان.

سارت الحملة ووصلت مارد ماء بالدفينة على طريق الحجاج فإذا عليه بادية من قبيلة عتيبة تروي إبلها وماشيتها. فحاول أمير الحملة أن يوردها فلم يتمكن إلا من مقدار قليل من الماء وتنحى وأناخ الإبل.

فاستشاره الجماعة فقال لهم: دبروا أنفسكم، فاتفقوا أن ينزل سليمان الحسينان بالبئر ومزيد يمتح عليه وعبدالعزيز الحبيب يُتَرِّس ببارود معه اسمها "الشرفا" ففعلوا والقوم ينظرون ففزعوا فأقبلت عليهم جموع من عتيبة فعرض لهم رجل رشيد منهم كان موجوداً عند البئر (ذو لحية كثة) وأخذ يُلَوِّح بيده ويصوت للفزَّاعة ويقول دونكم لا تعرضوننا لحكم ابن سعود هؤلاء حجاج يروُّون ويروحُون فامتثلوا فلما انتهى بيرق الشماسية من إرواء حملته وملء قِربه وردت البيارق الباقية.

الخيرة خفيّة:

خرج اذياب بن ضُبَيَّان العنزي (الأركع) رحمه الله راجلاً من جَرَدة بريدة وليس معه سِوى بندقيته قاصداً الشماسية وبينما هو يسير رأى في الجادة في موقع معروف على جادة الشماسية يسمى "الحداري" رأى رجلين يحمل كل منهما فوق رأسه فسيلة فقال في نفسه أرافقهما فلما وصلهما سلم عليهما وأخبراه بوجهتهما وأن ما معهما لصاحب لهما فقال أنا قاصد الشماسية وأريد أن أصاحبكما فظهر عليهما الخوف منه. وبعد أن جَنَّ الليلُ عملا "ثاية" فانفرد منهما وعمل له مناماً قريباً منهما. فدعياه لمشاركتهما بما تيسر من تمر وماء فقال يكفيني الماء إذ أحس بخوفهما.

فلما أصبح الصباح وصلوا الفجر فإذا بركائب خمس تنحدر عليهم من النفود المجاور لجسر الباطن قرب مزرعة صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالعزيز وعدد الركايب خمس ركايب وإذا هم قطاع طرق يُصَوِّت متقدمهم: "وَطّوا" الثياب "وطّوها" حيث كانت تلك الثياب التي يرتدونها هي المطمع الوحيد ولم يعلموا بالبندقية وصاحبها.

فهب اذياب واقفاً وأخذ يقذف بندقيته في الهواء إلى أعلى ويمسكها ببراعة متناهية وهو "ينتخي" ويقول: يا هَلَ الجيش دونكم مابَه إلا اذياب الاَرْكع واخْوياه. فقربوا جميعاً وهو ينهاهم فلما أصروا قادمين صوب بندقيته للأول منهم فصرع جمله كإنذار لهم فسقط صاحبه ونهض مسرعاً وركب مع أقرب واحد منهم وانكفوا منهزمين. فشكراه على فعله وقالا: "الخيرة خفية" وانقلب

الخوف أمناً وواصلا المسير إلى وجهتهما والأركع إلى الشماسية فأخبرا صاحبهما ففزع وجماعة معه إلى الجمل فقطعوه ورجعوا به لحماً. ولم يكن ذياب الأركع شجاعاً فقط بل كان شاعراً مجيداً ومن شعره القصيدة الغزلية التالية:

يـا مرحبـاً بـاللي نِطَحْنـي مْسـيَّان	أهـلاً هـلا بـاللي نطحنـي وراحـي
حزَّة غروب الشمس يا حسـين لاقـان	يـوم كِـلّ لافـي لَلمِراحـي
ما شفت مسلوب الحشا يا بـن قيعـان	يا مسندي ما شـفت سـهل الصبـاحي
يا غِصِـن مـوزٍ نـاعمٍ بيـن جِـدْران	تَذْرِف عليـه إغروبهـا مـن قراحـي
مقـر أهلهـا بيـن طعـس اوجِيْـلان	جنوبـي الرُّوضـة شـمالْ الملاحـي

أطِيح واقُوم وانا ابو سليمان:

لهذه المقولة قصة جعلتها تجري مجرى الأمثال الخاصة بأهالي الشماسية والقصة بدأت حينما خرج محمد بن سليمان السعران المشهور (بالاصقع) و (راعي مونّس) ذلك المشعاب الذي يونّسه في روحاته وجيئاته أيام الخوف والذل قبل استتباب الأمن على يد الإمام عبدالعزيز (رحم الله الجميع).

خرج رحمه الله من جردة بريدة مؤجراً بعيرين على العريس عثيمين بن علي ليوصله وعروسه إلى عقدة البلاد بالشماسية وبينما هم قادمون من الجادة بمحاذاة الغراميل (الطريق من بريدة إلى الشماسية عبر السوادة الحالي)، سطا عليهم ثلاثة حنشل "قطاع طرق" مترِّسين لأي قادم من هذه الجادة فيأخذون راحلته ومتاعه. ولكن أبا سليمان رجل شجاع لا يستهان به، ربط خطام جمله بباكورة الشداد ونزل ومعه مونس فضرب الجمل ووجَّه العريس بأن يسرع بالمسير وهو "ينتخي" ويقول أنا أبو سليمان والحنشل يقتربون للإمساك به وتكتيفه لمصادرة الجمل بما عليه، ولكنه عاجلهم فضرب الأقرب (الموالي) منهم ضربة قوية أطاحت به والدم يسيل من هامته بغزارة ولحق الآخر فضربه بمونس فأطاحه حتى إن مونساً انكسر بيده وعدا أبو سليمان مسرعاً باتجاه الخبيب ليقرب من البلدة وكان الوقت عشاءً وليس معه سوى كسرة مونس كالسيف (حيث إنه من خشب السدر الصلد) ولكن "الحنشولي" قاطع الطريق الثالث سبقه وتعلى عليه من مرتفع فضربه من

فوق رأسه بجائحة أسالت منه الدماء على وجهه فسقط من شدة الضربة وقال: "أطيح واقْوم وانا إبو سليمان" وهو يترنح .

ففت انتخاؤه من عضد "الحنشولي" فأدبر هارباً فقذفه أبو سليمان بكسرة مونس فَخَلَّتْ شَاكِلَتِه فخر صريعاً ومشى أبو سليمان قليلاً باتجاه الجادة واضطجع تحت شجرة سوادٍ كبيرة حتى آخر الليل حيث فَزَّع عثيمين بن علي الجماعة فوجدوه قرب الجادة يابساً عليه دمه فضمدوه وصبخوا عليه حتى شفي. وقضى بقية عمره رحمه الله وهو يخبئ الريال والريالين وقت الذل بموضع الضربة التي أصيب بها بجمجمته. فصار قوله مثلاً معروفاً بالشماسية.

أبو سليمان والذئب:

في حدود عام ١٣٥٧هـ ركب محمد بن سليمان بن مدالله السعران جمله ليحش عرفجاً قرب مُهْرَةَ السَّهل بنفود الشماسية الشرقي (الثويرات) وكان معروفاً بالشجاعة والإقدام كما يقول كبار السن. وفي أثناء سيره رأى أثر ظبي يلاحقه ذئبٌ فنزل من على ظهر جمله وسَبَر الأثر وقاس خُطى الظبي فوجدها قرابة (٥) أبواع والذئب قرابة (٣) أبواع ثم واصل السير فلما أقبل أو قرب من مُهْرَه عرضت له الأثر مرة ثانية فقاسها فوجد خطى الظبي (٤) أبواع والذئب (٣) أبواع وبعد قليل أقبلت عليه الظبي محتمية به وخلفها الذئب فأمسك بالظبي بسهولة وهي متعبة ووقف الذئب قريباً منه فأومأ عليه وطرده. وذبح الظبي وحمله على بعيره وواصل المسير للمبيت فلحقه الذئب إلى أن أناخ جمله وحط عنه المزوده وحطب ما يكفيه ليلته.

ولكن الذئب مُصِرٌ على الانتقام من هذا الذي أخذ صيدته حيث أخذ يرتفع على روس النوازي ويقنب[1] بصوت مخيف يستنجد بالذئاب الأخر. فلما غشى الليل خاف وقرَّب الحطب من الجمل وأشعل ناراً كبيرة زادها حطباً من الأرطى المتوفر وبرَّك الجمل جوار عُثْمورِ شجرة كثيرة الأغصان والنار دونه ونام. فلما انتصف الليل فإذا عنده ذئابٌ كثيرة بعضها يشاهده على نور النار والبعض الآخر يسمع عواءها ولكن أنشطها وأخطرها صاحب الظبي الذي يستحث الذئاب الأخرى بالعُوى والقرب والعدو فأخذ أبو سليمان يقذف منها ما يقرب إليه بمشاهيب النار واستمر على هذا الوضع حتى الصباح وطلوع الشمس عندها تباعدت الذئاب ونامت كل في جهة فحمل باقي الحطب

(١) يقنب: يعوي.

كحماية له وركب جمله عائداً فلحقه الذئب (صاحب الظبي) ونشط محاولاً إخافة البعير أو تبريكه بالدوران عليه ثم بدأ يقفز ويعض رقبة الجمل حتى أجهده وبينما هو كذلك فجأة سقط الذئب يتلوى والدم ينزف من جنبه دون أن يسمع صوتاً أو يرى أحداً وأخذ يلتفت يمنة ويسرة فإذا بِزَوْلٍ يقبل عليه من على شفا خبة تمر بها الجادة والذئاب الأخرى سرعان ما ولت هاربة لما رأت قائدها مقتولاً. ولما وصل الزول إذا هو: عايد الضبيب جاء يتصيد الظباء.

أبو عُمَر مدفون بالملّة:

كان أبو عُمَر فلاحاً بقصرٍ له يسمى (الطويرف) بحي البدع ويسني على نخلاته فسقط يوماً من نخلة طويلة صعدها لإصلاحها وتأبيرها[1] فانتشر الخبر بأن أبو عمر طاح من النخلة فاجتمع الجماعة وحفروا له حفرة بالشمس وملّوه بها.

وبعد يوم أو يومين علم أحد أصدقائه وخاصة أصحابه راشد بن فوزان بن كليب الفوزان بأنه سقط من النخلة وأنه سالم من الكسور وما يشكو سوى رضوض. يقال فلبس المرودَن وتقلد سيفه وركب فرسه وقصد أبا عمر فدخل عليه القصر فإذا هو مملول. وأنشأ راشد وهو يلوح بسيفه من على فرسه قائلاً:

أنا أحْمِدَ اللّي فـــي مِسَـــاوِيْك جَـــازاك ... ودَهْمَككْ حفّـــاظ الودايـــع إبْسَـــاقِيْك

وانَـــا أحْمِـــدَ اللـــه نَـــاقِلٍ دَاك بِـــرْدَاك ... وارْشَاك مـــن بِـــدّ المخـــاليق يَسْـــنِيْك

فرفع أبو عمر رأسه (وباقي جسده مدفون بالملّه) فردَّ رداً منه قوله:

ياقَفْ شَعَرْ علْبَايْ وا قَـــفْ إبْسَـــنْدَاك ... وانْ فَكّنـــي والَ المقـــادير لَوْذيْـــك

ثم نزل راشد واطمأن على صاحبه واعتذر له عن تأخره وأنه لم يعلم وإلا لما تأخر وكان لراشد مواقف كثيرة مع أبي عمر ففي ذات يوم سيَّر عليه بالطويرف فإذا هو يدق عذوقاً لصنع ما تحتاجه الأشدة والسواني من حبال يدقها بكابون كما هو المعتاد فوقف على رأسه بالفرس وهو "ينتخي" بالسيف ويقول:

أنا أحمدَ اللّي على وَضْحَ النّقا جَابك ... عَجّك إمْغَطيك ما تمشي على الهـــون

(١) تأبير النخل: تلقيحه.

فرد أبو عمر قائلاً:

سيفك من الهند مصقـــول ولا ثَـــابك وسيفي إمْسَويّه بـــــن قيعـــان كـــابون

فرماه بالكابون.

الوفاء بالعهد:

في عام ١٣٢٢هـ حدر يحيى بن مانع بن عويند العويند وأربعة مـن رفاقه: أبـو هُلَيِّـل ومطلـق الندغاء والرابع لم يستحضر اسمه حفيدَ يحيى (راوي) القصة وبينما هم مُعَشِّـين بـأدنى الدهنا وبينمـا هم رقود بَيَّتهم قوم ينتخون قائلين: إرقود ومناياهم دنت.

ففزع يحيى ورفاقه وتناولوا عُجْرَهُمْ وهي السلاح الوحيد معهم ونطحوا القـوم وهـم ينتخـون على التوالي قائلين: إرْقود وينطحون قعود.

ثم قال يحيى: عمود الخير وانا ابو عبدالله.

وقال أبو هليل: راس القوم وانا ابوهليل.

وقال مطلق: معكم وأنا مطلق.

فَفَتَّ ذلك بعضد القوم حيث تشاءموا وأيقنوا بـأنهم مغلوبـون لا محالـة فتوقفـوا عـن التقـدم وطلبوا الأمان فأعطوهم إياه فأنزلوهم عن ركاييهم وبرَّكوها وكانوا لا يحملون سوى عصـي تركوهـا على ظهور جمالهم.

فطعمـوا مـن تميرات كـانت مـع يحيـى ورفاقه وشـربوا مـاءً وقهـوة عملوهـا فـانصرفوا علـى جمالهم ومن ذلك التاريخ ويحيى يُسمَّى العمود ولُقِّبَ أول مولـود لـه ذكـر بلقـب (عْميِّـد) وصـارت عائلة عُويند تسمى العُميِّد حتى يومنا هذا.

ثمد أبو فايز:

ذهـب نـاصر بـن فـايز العقـل ليقطـع السـدر (يسـدر) بـأعلى شـعيب أبـو نخلـة بصفـراء المستوي.حيث كان يشتهر بأشجار السدر الذي تحضر من أوراقه أحسن أنواع الـورد الـذي يصبـغ بـه رؤوس البنات ويصلح لغسل الجسد والحنوط. وكانت معه قربة بها ماء وصرة تمر علقهما بغصن من غصون شجرة سدر فلمـا أراد القيلولـة فإذا بقربته فارغـة مـن المـاء إذ شـققتها أشـواك السـدر الحـادة

المعقوفة بفعل تحركها وهي معلقة. فزاد ظمؤه حتى استدرك وأيقن بالموت عطشاً فتهيأ لذلك بأن حفر حفرة ببطن ثغب قريب منه وهال على جسده ثرى ماء قربته مع تراب الحفرة.

فخُيل إليه وهو بين النائم والمستيقظ من يهمز قدمه ويقول: يا بو فايز قم لا تموت والماء عندك؛ فلم يصدق فتكرر معه الموقف فنهض يبحث عن أي أثر أو علامة يستهدي بها على ما سمعه فإذا بأثر ذئب قديمة محاولاً نبش موضع من الثغب فقال في نفسه لعل هذا الذئب قد شم رائحة ماء فحفر قليلاً فإذا بفرش[1] فحاول به حتى أزاحه فإذا تحته ثرى فعمق الحفرة حتى بدأ ثراها ينعصر وبدأت قُطيرات من الماء تتجمع ببطن الحفرة فما جمعت رَشفَه بشفاهه حتى أطفأ ظمأه.

فيصل والسِّتْة فَرَانسِه:

كان فيصل بن راشد بن فوزان الفوزان من أمراء الشماسية السابقين رحمه الله قليل المال وكثير الضيوف فهو أمير البلد الذي ينصاه عابرو السبيل والضيوف والمناديب. وفي ذات يوم من عام ١٣٤٤هـ شدَّ ذَلُوْلَه وقصد الثويرات وحشَّ حِمْلَ عرفج ودخل به جَرَدَةْ بريدة ليبيعه. فباعه وعندما أراد الخروج إلى الشماسية لاقاه صاحب طلبٍ فأعطاه قيمة الحمل فرجع خالي اليدين وبينما هو يسير في الجادة قرب الغراميل رأى أمامه أهل رَكْبٍ يصلون العصر فنوَّخ ذلوله وصلى معهم فإذا هم: ابن مساعد وشِلْهُوب-مدير مال الخاصة الملكية- رجال ابن سعود جاءوا لبريدة للنّظر في قضية ويريدون العارض (الرياض) فعرَّفهم بنفسه ودعاهم للعشاء والمبيت عنده الليلة فوافقوا على العشاء فأُحْرِجَ حرجاً شديداً لأنه لا يذْكُر شيئاً يقدِّمه لهم.

يقول فلما أقبلت على ذلولي فإذا أمامي تلاً من الفرانسة أرى أجزاءً منها صدئةٍ قد حفرت عنها الرياح بعد أن كانت منطمرة تحت الرمال فَحَصَّلْتُ سِتّة فرانسة يقول فرجعت إليهم وأكدت عليهم ثم ركبت الناقة ودَرْهَمت حتى وصلت فمررت على عبدالعزيز المطوع يحرث بِحيَالة الغيث فأخبرته بأن وراي ضُيوف فقال خُذ البذر الذي بالمحْدِرِه (لُقَيمي) ومُرَّ على العيال بالقصر يعطونك دِهِن. يقول فأخذت ذلك ومررت عبدالعزيز بن عبدالكريم الخطيب واشتريت ربيطته (نعجة) بثلاثة فرانسة.

---

(١) فرش: صخرة كبيرة.

وأرسلت رجَّالي واشترى خمسين وزنة عشب بريالين للبعارين. فلما قدم الضيوف فإذا بالنار موقدة وكل شيء حاضر وجلسوا على النار. وعند الغروب ضاف ابن حميِّد وأصحابه خَمسةٌ من أهل سُدير فأدخلت بعاريْنهم وبعد العشاء واصل ابن مساعد ورفيقه رحلتهما وابن حميِّد ورفاقه باتوا عندنا فلما صلوا الصبح و"فكّوا الرِّيق" أطْلَعْنا بعارينهم من الحوش إلا أطيبها ضربها ابن حميِّد مع خشمها ومنعها من الخروج وقال هذه إسنها يا إبو علي.

دْبَيَّان والغفيص:

مراعي البرجسيات بجنوب الشماسية ومفاليها مرتعاً خصباً للماشية ففيها موارد المياه وهي على طريق القوافل المتجهة من معظم بلدان القصيم إلى الرياض والأحساء عن طريق أبو عينين وفي إحدى سني الجدب ورد مؤلفو إبل (تجار تجميع الإبل وبيعها في الرياض وتلك الجهات) وردوا على قصر علوَّة دبيان بن ملحم الفعيم بالبرجسيات فشربوا وأرووا إبلهم وملأوا قربهم واتجهوا إلى الرياض وبعد أيام رجعوا على ركائبهم وضافوا دبيان في مقتبل الليل فهلاّ بهم ورحب وذراهم وذرى ركائبهم وقدم لهم الميسور فناموا تلك الليلة وبعد أن صلوا الصبح قهواهم وقدم لهم غفيصاً بِقِدْرٍ فأكلوا حتى شبعوا وحمدوا الله وودّعوه.

وبعد ما يقارب الشهرين دخل دبيان أحد أسواق الإبل ليشتري بعيراً ليسنيه بقصره وأمام أحد الحوانيت لمح ضيوفه يغمز أحدهما الآخر ويقول باستهزاء هذا راعي البرجسيات الذي قدم لنا الغفيص بالقدر.

يقول كبار السن فذهب دبيان إلى الأمير وقص عليه القصة فاستدعاهما الأمير لمجلسه وقال: من منكم يعرف هذا فقالا هذا راعي البرجسيات. فقال الأمير: الرجل أكرمكم وتضحكون عليه. دبيان ورجالي عندك يا هذا بالغداء وأنت عندك بالعشاء كما أمر على كل واحد منهما بخمس وزان قهوة وهيلها يعطيها دبيان.

المبيت بحوش البقر:

سرى "حنشل" -سُرَّاق- على حوش قصر ملحم بالبرجسيات والناس نائمون فساقوا البقر وسروا تحت ظلام الليل وعند الصباح صاحت النساء للرجال ففزع ثلاثة من أبناء ملحم وقصوا أثرها وتبعوها حتى وجدوها في خب الحصى بنفود الشماسية الشرقي "الثويرات" ترعى والسراق

تحت شجرة أرطى نائمين فأمسكوهما وكتفوهما وعادوا بهما وبالبقر إلى والدهم فقال لهم أحكموا وثاقهما ومَرِّحوهما هذه الليلة مع البقر والصباح رباح، فلما أصبح الصبح أخذوا منهما عهداً غليظاً بأن لا يأخذا من عامة القصور ومفاليها بعد اليوم شيئاً وأطلقوهما.

وفاء الذئب لفِيْحاء بنت الحزيم:

يروي كبار السن عن أسلافهم أن فيحاء -من عائلة اسمهم الحزيم من سكان الشماسية يظن بأنها انقرضت ولم يبق منهم أحد- كانت شجاعة تعمل في قطع السِّدْر وكان وقتُ ذُلٍ وخوف والناس لا يَمْتدُّون إلا بالليل من شدة الخوف ولكنها في مرة من المرات راحت تسدر في النهار من شعيب المغيليث فإذا أحست بالخوف دخلت في جُحْرٍ عَمِلَتْه تحت أشجار السِّدر لهذا الغرض وتخفيه ببقايا أعواد الأشجار فأوقدت ناراً يوماً لتخبز عجينة كانت معها فإذا بذئب يحبو باتجاهها مُميْلاً رأسه إلى الخلف ورافعاً يده باتجاهها فنظرت إليه فعرفت أن بيده شوكة فقرَّبت منه وأمسكت بيده وأخرجت منها شوكة طلح وصديد. فَانْتحى عنها قليلاً وربض.

فأكلت خبزتها وأعطته منها فلما أرادت أن تحمل محصولها من ورق السدر أقبل عليها رجلان من قطاع الطرق ينتخيان: (جابك الله ما مَعَكِ لَنَا وعِرْضك لنا الله عنه) -دلتهما رائحة النار- ولكن الذئب فاجأهما بسرعة البرق فشَتل شاكِلَة أحدهما فسقط صريعاً ورجع بسرعته نحو الآخر فبقر بطنه ووقف دونهما وفيحاء تنظر وتحمد الله.!!؟ فأعجبت به وقالت قصيدة طويلة منها:

يامرحبا بِكْ مرّات ياذيب ... ابقارة الصّفا أو قارة السُّوق

ويااليت الأدميّة تاخذ الذيب ... والله لاخِذكْ لي دايمٍ شُوق

واعَطّرِكْ بالرّياحِين والطّيب ... ونْعُوق ويّاك العْدَا وراعِي البُوق

ذئب الأراخِم:

كان في الأراخم المعروفة بالمستوي مجحرة تختفي بها الذئاب وترد قصور البطين بعض الليالي لتشرب وذات ليلة ورد أحدها وحمل طفلاً بالمهاد -والذئاب من عادتها حمل فريستها- واحتمى بمجحرة الأراخم وفي الصباح جاء بدير بن عبدالعزيز السنيدي لأهل القصر فقصوا عليه القصة وأنهم بحثوا عنه في الليل ولم يجدوه وكان على جمل ومعه بندقية فقص

أثر الذئب حتى وجده وقت الظهيرة نائماً بباب المجحرة فقتله وحمله بالمزودة وجاء به لأهل الطفل الذي لم يبق منه سوى نقط من الدم هنا وهناك. وقد تمثل بُدَيْرٌ بهذه القصيدة مخاطباً الذئب الخائن:

ياذيب الأراخم وش اللّي جاك	يوم تِشيل غالي مَعَازِيك
إلى صار تمر النخل مَا ايْزَاك	والعِدْ يِسْقِي لَوَاهِيْبك
هَجَدْتنا البارح وزِرْناك	واليوم نِشرِف على طِيبك
اليوم بالمزْودِه شِلْناك	عِقْبَ الشجاعة بِدَا عِيبك

كفاح خَزْنِه:

كدَّت خزنة بنت عبدالله السنيدي وكافحت كثيراً في سبيل توفير لقمة العيش لها وبنتيها في أيام عصيبة فعملت في جمع حطب الغضا وبيعه على أهل القصور في أيام الشتاء مقابل صويعات من حب الحنطة أو الشعير كما كانت تبيع على نساء البادية شيئاً من لوازم النساء حينما يقطنون قرب موارد المياه في بطين الشماسية صيفاً. وقد لاقت في سبيل ذلك مواقف محرجة ومخيفة ومن تلك المواقف التي يرويها كبار السن:

في عام ١٣٢٦هـ أقبل عليها ركب من الأعراب وهي تمتح هي وبنتاها من ثميلة وتسقي نخلاً لابن بسام في الظّليم جنوب السُوَّادة بمحافظة الشماسية فأوجست منهم خيفة لكنها تصرفت تصرفاً سليماً بأن أنزلت بنتيها في الثمد وغطتهما في الأشجار ونفشت شعرها وتقمصت شخصية مجنونة ولم تجعل لهم فرصة لكي يسألوا عن الأزوال التي معها فخافوا من منظرها فهم يخافون كثيراً من المسودَنْ[1].

وفي الظليِّمْ أقبل عليها ذئب فاحتمت هي وبنتاها بشجرة أثل وبَقى الذئب يحوم حول الأثلة وحين حل الظلام أخذ يَعْوِيْ وفي منتصف الليل جاء ذئب آخر فأخذ يطارد الذئب الأول حتى أبعده عن وادي الظليم ولما بان الصبح تأكد لهن بأن الذئاب أبعدت فكأن الأخير مُسَخَّرٌ لَهن.

(١) المسودن: المجنون.

غُرْبة ابن عسَّاف:

يروي عسَّاف بن محمد بن عساف العسَّاف وكثير من كبار السن أن جارالله بن عسَّاف بن جارالله بن سليمان العسَّاف حدر[1] من الشماسية إلى العراق عام ١٢٩١هـ وعمره حينذاك ما بين العاشرة والثانية عشر وقصد عمه في بغداد حيث كان يعمل بالتجارة.

وبقي جارالله بالعراق أكثر من ثلاثين عاماً صار خلالها من تجار الإبل. ثم سافر من العراق إلى الجزائر وبعد عشرة أعوام أُخرج أو رُحِّلَ منها مع كثيرين إلى أمريكا فمكث فيها ما يقارب خمسة وعشرين عاماً اشتغل خلالها بأعمال تجارية لاسيما مداينة المزارعين هناك يقول جارالله وخلال عام ١٣٥٨هـ شاعت بين الناس هناك شائعات بأن حرباً ستقع بين أمريكا والإنجليز فعزمت على العودة إلى نجد فأبحرت من هناك في سفينة كبيرة محملة بأموال كثيرة. فبقينا في السفينة قرابة خمسة أشهر نتيجة لتوقفها بالبحر بأسباب الحرب التي اشتعلت (الحرب العالمية الثانية) حتى رست في ميناء جدة.

وفي عام ١٣٥٩هـ وصل جارالله الشماسية وهي السنة التي توفي فيها رحمه الله. فصارت غربته تلك يضرب بها المثل لمن اغترب أو غزا أو غاب طويلاً فيقال: (ولا غربة ابن عساف!) من باب التهكم. وقد وصلت غربته خمسة وستين عاماً.

ويروي كبار السن أن أحد الفضلاء رأى جارالله في المنام قبل قدومه إلى الشماسية يطوف حول الكعبة على حصان أبيض.

ومن مآثره وأقواله:

١- يقول صرفت أموالاً كثيرة على ظهر السفينة.

٢- وبما أنه عرف المضخات والمكائن في أمريكا كان يقول لأهل السواني سيأتي يوم تستغنون فيه عن تلك البعارين في إخراج الماء من القلبان بشيء تُركِّبونَه في غار البئر ويخرج لكم الماء. فلم يلقوا له بالاً ولم يهضموا ما يقول.

---

(١) (حدر) أي سافر نحو الشرق لأن أرض نجد تنحدر نحو الشرق والشمال الشرقي كما يدل على ذلك مسير الأودية مثل وادي الرمة. كما يقال (سند) لمن سافر نحو الغرب لأن أرض نجد تبدأ في الارتفاع بالاتجاه غرباً ولهذا سمى العرب غربي نجد "عالية نجد" وسموا شرقيها "سافلة نجد".

٣- كان مجيداً للغة الإنجليزية ولذلك أخذ بعض الجماعة منه موقفاً لأنه عاش مع أجانب ويرطن رطانتهم.

٤- يقول بأنه تعرض للسجن مع الأعمال الشاقة بسبب دخوله في مضاربة بين يمنيين أصحاب مقهى ومطعم وبين أمريكان وقد اعتزلهم في أول الخصومة لولا أنه سمع منادياً يصيح بأعلى صوته: يا أهل التوحيد فرجع ودخل في الاشتباك معهم فسقط اثنان من الأمريكان قتيلين فقبض على المجموعة فحكم عليه معهم مدة خمس عشرة سنة.

٥- قدم الشماسية وهو في الثمانين من عمره والحالة المعيشية في نجد حينذاك شديدة فلم يناسبه الطعام من الشعير والذرة فمات بعد سبعة أشهر من قدومه رحمه الله.

أبو فايز والأخوان:

يروي كبار السن أنه في عام ١٣٤٧هـ كان ناصر بن فايز العقل زارعاً في قصر المطوعيَّة المعروفة ببطين الشماسية التي يمر بها طريق أبو عينين. وكان ذات يوم يصلي بالجماعة (عمال المزرعة) فإذا به يسمع ركباً أناخ خلفهم. وصفَّ معهم وفي أثناء قراءته الركيكة رَدَّ عليه أحدهم. فجاء في باله أنهم الأخوان الذين يُكْثِرُون الأسئلة ويتشددون في أمور الدين لذا فكّر بحجة أثناء الصلاة لعله يتخلص منهم. فلما سَلَّم وقضوا ما فاتهم باشرهم بالسؤال قائلاً: من اللي رَدَّ عليَّ. فقال واحد منهم أنا. فقال له: وين أنت امْدَيِّنٍ بُهْ قال: بالشبيكية قال له: واللي ما قَضَّبوك دِيْن. فسكت ولم يتكلم أحد من أصحابه.

كِسِيْر الخَرْبِة (القلعة):

أُصيب أحد الأعراب بِكَسْرٍ في فخذه إثر كَوْنٍ[١] حدث بخبيب الشماسية فعثر عليه أناس من الشماس فرثوا لحاله وأتوا به فجبَّروه وداووه حتى برئ بعد أشهر وبلغ السير مع الصِّحَاح ونشط. ولكنه بدلاً من أن يشعرهم بالامتنان والفضل صار يهددهم ويطلب الخاوه[٢] وإلا سلّط عليهم قومه كما يزعم فتشاوروا بالأمر واتفقوا على أن يُنْهُوا أمره نهاية تتفق مع جحوده وسوء أخلاقه وذلك بأن يُبْنى عليه حياً وكانوا يبنون بجهة من جهات سور القلعة وهما جداران يتباربان ويحشى ما بينهما

(١) كون: غارة أو هجوم.

(٢) الخاوة: ضريبة الحماية مأخوذة من المرافقة والمؤاخاة.

بالرمل وبينما هم يبنون في أحد الأيام طلب الستاد قائلاً: هَيَّا رجَّال بدلاً من أن يقول كالمعتاد (هَيَّا طينة هيَّا لِبْنِة) فناولوه إياه واستمروا بالبناء وبهذا انتهى أمر هذا اللئيم الذي كافأ الإحسان بالتهديد.

الأخذ بالثأر:

من قصص الأخذ بالثأر قبل استتباب الأمن على يد المغفور له الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود يقول بعض كبار السن: وردَ سُليمان الفعيم على إحدى قلبان الشريميِّة جهة بلدة أم حزم وأناخ راحلته ونزل بقاع القليب يملأ قِربته وفي تلك الأثناء جاءه صاحب بعير ونزل عليه ومعه سكين وأخذ يهدده "ويهاوزه" بها كأنه يريد أن يمنعه من التزود بالماء أو يأخذ قربته ويطرده فصار بينهما عراك ومشادة قتل خلالها صاحب البعير.

وبعد مدة طالب قومه بالدية... ولحقوا بالثأر في موقع معروف باسم (هبج البرجسية) ففزع أهل البرجسية وتقاتل معهم محمد النويصر وعبدالكريم وناصر ابني ادْبَيَّان الفعيم فَقُتِلا وشُقَّ بطن محمد النويصر المذكور[1]. وجرح محمد بن عبدالرزاق الخطيب. كما قتل كُل من صالح وسليمان ابني محمد الخطيب، وفي المقابل قتل أمير الفريق المهاجم.

أحسنت:

كغيره من أهل الشماسية بل والقصيم ونجد عامة سافر صالح بن يوسف بن محمد اليوسف إلى الكويت بحثاً عن الرزق بحدود عام ١٣٣٦هـ وعمل هناك في الزراعة ثم في الغوص ثم بدا له أن يشتري سيارة لنقل الركاب بالأجرة فاشترى سيارة بألف ربية من نوع "الفورد" مظل ١٩٢٨م أبو رفسه بالاصطلاح المحلي، وبهذا يعتبر من أوائل السائقين في الكويت وبدأ العمل عليها ينقل العمال إلى مناطق الزراعة والعمل مثل الفحيحيل والفنطاس واستمر على هذه الحال -رغم ضعف المحصول- ثم حصل تدهور في الاقتصاد فقلت السيولة النقدية بأيدي الناس وخاصة العمال بسبب عدم حصول البحارة على اللؤلؤ فأصبح الراكب يضطر للركوب وليس لديه أي نقد يدفعه لصاحب السيارة وخاصة أبو يوسف لما اتصف به من حسن الخلق وكثرة المعارف فيكتفي عند نزوله بقوله "أحسنت" والتي أصبحت لقباً لصاحب السيارة "أبو يوسف" وفي أحد الأيام أقل على سيارته أحد عشر راكباً فكان كلما

(١) يقول الرواة إن ابن سعيِّد خاط بطن محمد النويصر بشعرةٍ من رأس أم محمد الموسى المشتهرة باسم (إشْعِيْلِه) نسبة لبياضها. (يرحم الله الجميع وأدام الله علينا نعمة الأمن وحفظ لنا حكومتنا الرشيدة).

نزل راكب قال: أحسنت دون أن يدفع له فلساً واحداً فلما كان الأخير -ولم يكن يعرفه- ونزل أعطاه نصف ربية ولما ولى ناداه وأعاد إليه ما دفعه له وقال له: (يمكن إنك أحوج بها).

وفي صباح اليوم التالي توجه إلى مدينة الكويت فلما شارف انقطعت السيارة من الوقود "البنزين" فجلس بجانبها حتى جاءت إليه سيارات شركة التنقيب عن النفط فقاموا بنقله إلى محل بيع الوقود فاستدان صفيحة وكان البنزين والقاز في ذلك الوقت يستورد بصفائح فأخذ العبوة وعاد مع صاحب السيارة التي جاءت به حيث أصر على ذلك. وبعد وصوله دعا للسائق الأجنبي، ولكن بعد فتح الصفيحة تبين أن محتواها من "القاز" وليس من "البنزين" ولعدم التمكن من إرجاعها أفرغ محتواها في خزان الوقود، وقام بتشغيل المحرك فدار ببطء وبدأ ينفث دخاناً كثيفاً غطى الأفق حوله وأثناء سيره البطيء أخذ يفكر فيما آلت إليه حالته المادية وعدم جدوى السيارة وما إن شارف مدينة الكويت حتى رأي حفراً كبيرة وعميقة تسمى "المجاص" فوجه السيارة نحو أكبرها وأعمقها بعد أن نزل منها وجعلها تسير بذاتها نحو الحفرة فلما سمع صوت ترديها في قعرها قال: (أحسنت) ثم تركها وانصرف.

الضبعة لا تؤذي من لا يؤذيها:

ذُكرت لمحمد بن صالح الفعيم (ابن صِهِيْل) ضبعة في المجحرة المشهورة بالضباع المسماة (طرقة الضبعة) في صفراء الشماسية وكان من هواة القنص فذهب إليها عصراً. وكان من عادة الضباع الخروج من مخابئها عشاءً وحين وصلها أراد أن يتأكد من وجودها فدخل فوهة المجحرة لعلمه أن الضبعة تخرج إلى الخلف وكانت تحت حافة صخرية لكنه فوجئ بقدومها للخروج من الأمام فانبطح بمكانه فتخطته وخرجت ولمّا تنحت قليلاً أطلق عليها رصاصة قتلتها وحملها ورجع. هذا في زمن سابق لخروج السيارات وكثرتها وكثرة البنادق التي قضت على كثير من الحيوانات البرية في صفراء الشماسية مثل الغزلان والذئاب والأرانب والوبران وغيرها الكثير شأنها شأن المناطق الأخرى قبل التوجيهات الحكيمة من حكومة خادم الحرمين الشريفين بالمحافظة على الحياة الفطرية وتحديد أوقات الصيد وأدواته وجنس ما يجوز صيده.

لجوء إلى عنيزة:

طلب محمد بن سعيد (خوي) أمير الشماسية من يحيى بن مانع بن عويند العويند فضية الجهاد وكان يُرَقِّعْ شِدَادَ البعير ببيته بالبدع ويجهز نفسه ليسدر ويبيع ذلك في عنيزة. فقال "لرجَّال"

الأمير: إذا قَطَعْت وبِعت إن شاء الله أعطيتكم "الفضية" فرجع "الخوي" وأخبر الأمير بما قال له يحيى. ولكن الأمير قال "للخوي" ارجع إليه فإن لم يعطك فخِذْ الشداد فجاء الخوي لينفذ أمر الأمير. فضربه يحيى وأوجعه فلما علم الأمير أرسل بطلبه. فوجدوه قد ارتحل إلى عنيزة ومعه رفيقه لاحم بن عمر بن عبدالرحمن اللاحم الذي تعاطف معه ورافقه في رحلته. وبعد مضي شهرين أو ثلاثة بَعَثَ لهما الأمير وكبار الجماعة من يرضيهما ويدعوهما للرجوع فرجعا.

عبدالكريم اليوسف يحمل رفيقه على كتفيه:

كان عبدالكريم بن محمد اليوسف ورفيقه يحيى بن مانع العويند يعملان في إحدى بلدان سدير وعندما رجعا استضافهما راعي إشقيم الذيب المعروف غرب محافظة الغاط وخرجا من عنده بعد صلاة المغرب وواصلا سيرهما إلى الشماسية ليلاً لئلا يأتي عليهما النهار فيزيد من عطشهما وهما لا يحملان طعاماً ولا شراباً وفي نفود الثويرات كانا يستغلان انحدار الخبب فيسرعان. وأثناء ذلك أصيب يحيى بِجِثْلٍ (جذع شجرة أرطى) خل عرشه فَشلَّه عن الحركة فسقط والدماء تسيل من قدمه. فلم يستطيعا إخراجه بكامله. فقال يحيى لعبدالكريم إسلم بعمرك "وتِمَاكَن" الليل وابحث عن راحلة إذا وصلت. فأقسم عبدالكريم وطلق إلا أن يحمله أو يموت معه وكان رحمه الله قوياً فحمله على كتفيه من نفود الثويرات حتى الشماسية ومسافة ذلك لا تقل عن ٣٠ كيلاً. فلما وصلا عالجه إبراهيم العتيق بمقلاع أسنان ولازم بعدها الفراش قرابة ثلاثة أشهر رحم الله الجميع.

طبيب الحملة:

في عام ١٣٥٩هـ مرت حملة حجاج كويتية بالشماسية ووردت أحساء العقدة الجنوبية لسقي الإبل والتزود بالماء العذب وكان معهم طبيب بريطاني مسلم فذكر بأن محمد بن صالح السنيدي يعاني من ألم شديد في عينيه حتى كف بصره من قريب. يقال فعالجه بالميل وأزال من عيونه ماءً وأنه شفي بعد أيام من رحيل الحملة في طريقها إلى الحج فانتشر خبر ذلك الطبيب وفي تلك الأيام أصيب براك بن سعد الدويحس بمرض في عينيه أضعف بصره حتى كف وقد استعمل (الحجبة) الحمية والأدوية الشعبية الموجودة ولكنه لم يتحسن فانتظر الحملة على أمل أن تعود مع طريق قدومها فيعرض حالته على طبيبها ولكنه يئس بعد انتظار طويل فعزم على السفر إليه في الكويت. يقول راوي القصة ابنه دويحس: ركبت أنا ووالدي مع الجمالة إلى بريدة وكان عمري لا يتجاوز

التاسعة وأقمنا يومين ننتظر سيارة تسافر إلى الرياض فجاءت سيارة المنصور محملة بخشب أثل فركبنا فوق الخشب وكنا أكثر من خمسة عشر راكباً ووصلنا الرياض بعد أربعة أيام وفي اليوم التالي جاءت سيارة تريد الكويت فركبنا بها ووصلنا الكويت بعد سبعة أيام وسألنا عن ابن عم لنا هناك اسمه عبدالوهاب الشماس فدلونا على دكانه فأقمنا عنده ذلك اليوم وليلته وفي الصباح طلبنا منه أن يسمح لنا بالإقامة عند "عزاب" من الجماعة فدلنا على دارهم ومنهم صالح بن عبدالعزيز الحماد وحماد اليحيى وإبراهيم العثمان وأخوه يحيى الذي هدانا إلى الطبيب فدخلنا عليه في دكان صغير بسوق الصيارفة فإذا به متربعاً على قطعة زل صغيرة وأمامه علب زجاجية وإبرة ومقص وأشياء أخرى لا أذكرها فنظر في عيون أبي وقال الذي في عيونه ماء أزرق وهو ما يسمى "بالسويرق" وأعطانا عصاراً للتخفيف من الألم رحم الله الجميع. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم علينا نعمه ويرزقنا شكرها.

وسم البِطين:

فَقَدَ عبدالكريم بن صالح بن عبدالرحمن الجناح ناقته في إحدى حَدْراتِه مع "ارحيل" في موقع جهة رماح وخلال بحثه عنها قصد بيتاً في قطين بادية فضيفه صاحبه وشب النار وسأله عن وسم ناقته فقال: الحيَّة فقال: حيَّة العصمة أو البِطين (يعني الشماسية) فقال: البطين فرد الأعرابي قائلاً: والله والقطيعة..وكررها مرات. فرد عليه عبدالكريم قائلاً: لا بالله يا لاقي خير حية البطين على خير وشر. فصمت الأعرابي ولم يتأثر أو يتغيَّر. فلما صب القهوة قال: يا ولدي على خير إنهم رجال فاكّين[1] مفاليهم وحلالهم.

ذئبان ببقرة:

في أواخر عام ١٣٣٢هـ سطت الذئاب على العمران. ففي خل عنيزة سطا ذئب وأكل بقرة سلمى بنت ناصر المطوع فاستأجرت محمد بن سالم بن حمد السالم وكان مشهوداً له بالقص والقنص وله مواقف عجيبة مع الضباع والذئاب. استأجرته بعشر "أوزان" تمر على أن يقتل الذئب الذي أكل بقرتها ويأتي لها "بماريِّةٍ" علامة. فَراح في الصباح يقص الأثر فرآه فتنحى عن اتجاه الرياح لئلا يشمه الذئب فيهرب منه.

(١) فاكين: حامين.

وتحت أشجار الشنان وجد ذئبين نائمين مع طلوع الشمس "فثغا" لهما "ثغاءَ" عنزٍ فتنبها ووقفا فلما "تجاملا" أطلق عليهما طلقة أصابتهما معاً فسقطا صريعين. وبندقيته مقمَّعْ وليس معه سوى "درج" واحد. وقد قطع رأسيهما كعلامة لصاحبة البقرة.

الدِّيَةُ أو الثأر:

في عام ١٣٢٦هـ كان أحد أبناء البادية القاطنين قرب الشماسية يعتز كثيراً بقوته وشجاعته ويستعرض أمام الفتيات اللاّتي يَرِدْن الحساوة ويمتحن بالدِّلاء ماء الشرب منها. كما كان يتحرش بأمثاله من الشباب ويطلب منهم أن يصارعوه فاختاروا محمد بن إبراهيم بن راشد الحُمَيْد لمصارعته وكان لا يقل عنه قوة وشجاعة. فقبل على شرط أن يُحْضَرَ والد الأعرابي وآخرين من كبار السن. فتماسكا بمحضرٍ من أولئك فصرعه محمدٌ فنهض وأخذ حجراً وهو ينتخي فأمسك به محمد بسرعة (عَاجَلَهُ) وجعل رقبته تحت إبطه الأيمن وضم يده التي بها الحجر على هامته وجَعَل يضغط عليهما بقوة حتى أغْمِيَ عليه فتدخل الحضور وفرقوا بينهما فسقط الأعرابي على الأرض وحمله والده إلى القطين وبعد ثلاثة أيام توفي ذلك الشجاع القوي. فطلب والده الدية وإلاّ أخذ بالثأر. فأصلحوهما على تسعة فرانسة فُضَّت على كبار الجماعة فطال كل واحد منهم ربع افرانسي.

وفي تلك الليلة عمل الأمير فوزان بن عبدالله الفوزان عشاء دعا له الجماعة ووالد المتوفى بُغْيَة إتمام الصلح والإشهاد عليه فتم ذلك وقد دَعَوا للأمير على حسن فِعْلِه.

هكذا تَتَجلّى معادن الرجال:

يروى عن سليمان بن عبدالمحسن بن مطرود المطرودي (من كبار ارحيل) قوله: كنا نذهب إلى الأحساء نأتي بالبضائع وبعد مجيئي من إحدى الرحلات أخبرتني والدتي رحمها الله بأنها ترغب في أن أتزوج وأنها خطبت لي وتطلب مني أن أُجهز نفسي. يقول فذهبت إلى (ابن عقيل) بقصر الدويحرة لآخذ منه دُريهمات لي عنده. فأخبرته بأمري ولكنه قال نحن مستعدون للسفر إلى الحجاز ولابد أن تسافر معنا فأقنعني وسافرت مع الحملة فلما وصلنا جدة استضافنا معزبنا وأكلنا عنده سمكاً لأول مرة في حياتنا.

يقول وفي طريق عودتنا عن طريق الطائف أحسست بمرض شديد وفي رِيْعَان مكة ارتفعت حرارتي حتى صرت لا أعي بما حولي فحاول أصحابي مساعدتي حتى يئسوا فتركوني على درب

القوافل لعل أحداً يمر فيعالجني. وما أن خرجت الحملة من الطائف حتى قابلوا حملة أخرى معها مناور الشتيلي (أبو لافي) فسأل عني فأخبروه فأوصى على (حلاله) إبله وبضاعته ورجع إليَّ على إحدى المطايا. وعند الغروب وصلني فأشعل ناراً وكواني فأحسست بالنار والعافية فلما فتحت عيني وإذا بمناور فسألته أين أصحابي وما الذي جاء بك قال لي: الحمد لله على سلامتك. وحملني على مطيته وخدمني حتى تعافيت قرب الرس.

قافلة البقر عبر الدهناء:

خرج عبدالله بن ناصر بن فايز العقل وصاحبه عبدالكريم بن صالح العبدالقادر (رحمهما الله) من الشماسية راجلين وقصدا المجمعة يبحثان عن أي عمل (سنة الجدري الأسود) فاستأجرهما تجار أبقار لإيصالها إلى الظهران في جمرة القيظ، يقول فسقنا (١٢٠) ما بين بقرة وثور. كما استأجر أهل البقر أهل بعارين حَمَّلوها الماء بالقرب تتقدم في الطريق لسقي الأبقار حيث أنها لا تتحمل العطش كغيرها من البهائم. وذهبنا نسوقها عن طريق البُتيراء فالإرطاوية. وفي اليوم الثاني لَحِقْنا أهل البعارين بالدهناء فإذا بالماء قد هلّته القِرَب لأنها جديدة فلم نسق البقر لأن الباقي في القرب لا يكفينا.

وفي آخر النهار بدأت البقر تموت واحدة تلو الأخرى ووصلنا موقعاً يسمى (جَوَّ الثور) وما بقي سوى (٢٠) بقرة وقعود عليه مِزْوَدَتُنا فيها دلة وحُبَيْبات قهوة وقليل من القرنفل وكُسَيْرة تمرة معادلة على القعود بقربة ماء.

ولما أصبحنا ورَدَ أهل القِرَب (اللهَّابِة) ووعدونا بأن يسعفُونا بالماء وفي هذا اليوم لا يوجد معنا إلا قِطْرَة (قليل) من ماء في قاعة القربة تقاسمته أنا وصاحبي عبدالكريم هو شرب نصيبه ونصيبي سَوِّيته قهوة. ثم مشينا وتركنا ست بقرات عجزنا عن تثويرهن وبقي ١٤ بقرة وفي أثناء الطريق استدركنا من الظمأ والتعب فَلَحِقَنا أهل ذودين من الإبل (معهم أهلهم وعيالهم) بعد صلاة العصر فطلبنا منهم ماء. فقالوا: ماؤنا لا يكفينا وعِيَالنا.

يقول: فتبعناهم نسوق قعودنا ما عليه إلا المزودة والبقر تركناها فلما نَوَّخوا وجَدَّعَوا عن البعارين للمبيت نَوَّخنا قعودنا عندهم. فقاموا جزاهم الله خيراً ومرسوا لنا تمراً فلما شربناه زَالَّ ما نشعر به من شِدَّة العطش. وبتنا تلك الليلة معهم ولما أصبح الصباح شَالَوا فعانقناهم متجهين إلى اللصَافَة وفي طريقنا إليها لاقانا المروِّي (الإسعاف) فشربنا وأسقينا القعود وأخبرناهم بما جرى

للأبقار فراحوا يسعفونها وواصَلتُ أنا ورفيقي السير حتى اللصافة وجلسنا فيها عند المعازيب الذين ينتظرون الباقي من البقر يأتي به المروِّي بعد ما يسقيها.

وبعد يومين جاء وليس معه سوى بقرة واحدة (عجلة) فذبحوها وأكلناها. وعندما طلبنا أجرتنا ادعوا علينا عند نقطة لابن جلوي بإهمال البقر وحل الإشكال القوم الذين مرسوا لنا التمر فأعطونا أجرتنا قِربة قدَّروا ثمنها بريالين.

ثم تفرقت أنا وصاحبي فقصدت الكويت فأقمت فيه عشرين يوماً ورجعت منه على رجلي مع جمَّالةٍ (ارحيل) وهم: يحيى بن عيد وعبدالرحمن البليهي ومحمد الغنيمان وفي الصمَّان بفياضٍ قرب الحفر أقاموا وأنا واصلت السير إلى أهلي بالشماسية لم أجد شغلاً.!!!

عميَّان يحمل نصف بعير أو أكثر:

يروي إبراهيم بن عبدالله بن محمد البليهي قصة عن جده لأمه قاسم بن عبدالمحسن بن عبدالله المطوع وأخيه محمد "عميَّان" الذي كان رجلاً معروفاً بالقوة الخارقة بحيث أصبح يضرب به المثل في الشماسية. ففي سنة معركة روضة اللغف وبعد انتهاء المعارك عادة ما يرتاد بعض الناس الموقع للحصول على لحوم من الإبل المصابة. فقد عزم قاسم وأخوه محمد على الذهاب إلى الموقع ومعهم سكين وفأس. وفعلاً وجدا ناقة مصابة قد كسرت رجلها فنحراها وقام محمد بقطع النصف الخلفي من الناقة بقائمتيه دون تجزئة. أما أخوه قاسم فاحتمل لحماً مقطعاً من أجزاء مختلفة من الناقة على قدر ما يستطيع حمله، شكه بحبل من جلد رقبة الناقة.

فمشيا كل يحمل حصيلته أما محمد فقد وضع النصف الذي معه فوق رأسه وظهره بحيث تتدلى القائمتان من خلفه ومضى. وشال قاسم نصيبه فوق رأسه متجهين للشماسية على مسافة أربع ساعات للماشي.

وعندما قطعا نصف المسافة اشتكى قاسم لأخيه محمد من التعب وطلب منه أن يرتاحا قليلاً ولكن محمد رفض وقال: إذا ارتحنا ما قمنا ولكن ضع ما تحمله على حمولتي التي هي نصف الناقة. واستمرا بالمشي نحو الشماسية ولما بقي ربع الطريق طلب قاسم الاستراحة مرة أخرى فإنه يكاد يهلك من التعب. فقال له أخوه محمد: أمسك "العصقول"[1] وامش وراي. فتمسك بالساق

(١) العصقول هنا: ساق البعير فالعامة تطلق على كل عضو دقيق من الأطراف الأربعة للإنسان والحيوان ويغلب على الساق وفي العربية العصقول: ذكر الجراد. والعصاقيل: الأعاصير.

ومشى خلف أخيه. وبعد أن أشرفا على رأس الجبل وبدآ ينحدران أطلق قاسم الساق فقال له محمد: أطلقك الشر يا قاسم توه يجي نفعك.. تِمنَّع مَعِي لا أَتَحدَّر. فتمسك به ثانية حتى وصلا عقدة البلاد بالشماسية وأدخلا اللحم على أمهما مضاوي بنت بن عليان ففرحت بهذه الغنيمة ووزعا بعض اللحم على الجيران. وقالت: هذا خير كثير.

ضيوف من الجماعة:

في سنة الجوع تنكر مجموعة من الشباب وصلوا عشاءً في إحدى الليالي خلف محمد بن مطير المطرود وكان كريماً فلما سلَّم وفرغ من السنة لاحظ هؤلاء المتنكرين فظنهم طرقية فدعاهم فقلطوا عنده وقدم لهم تميرات وماء فأكلوها بنواها وخرجوا.

وفي الصباح قال له أحد الجيران: ضيوفك البارح من الجماعة. فقال: حنا اندور الأجر وحصَّلناه يا ولدي.

رحموا برحمة كلب صيد:

في شتاء عام ١٣٦٩هـ نزل أبناء صالح الخطيب عبدالله وعبدالكريم وأبناء فيصل الفوزان علي وعبدالكريم نزلوا بروضة اللغف يحشون وفي مساء أحد الأيام ضافهم عابر سبيل معه كلب صيد فقام علي رحمه الله وكان أكبرهم سناً وقدم الميسور للضيف وقليلاً منه لكلبه فلما سرى من عندهم أخذوا يلومون علياً لماذا يعطي الكلب وهم جَوْعَى وليس معهم من الطعام ما يكفيهم وخلال تلاومهم أقبل ضيف آخر -فأحرج علياً لأنه ليس معهم ما يقدمونه وكأنه صار السبب في ذلك- فسلم ونزل من على ظهر بعيره وحمل على كتفه مزودة وقال: أوقدوا النار ودنوا معاميلكم. ففرح علي وزاد النار حطباً وأركب الدلة والإبريق. وقال أيضاً أركب القدر فأركبه على النار وقال اعمل القهوة من المزودة فإذا بها القهوة والهيل فعملها ثم قال خذ الأرز والدهن واعمل لنا عشاءً فعمل عشاءً أشبعهم جميعاً. وفي الصباح أعادوا القهوة فقدم لهم التمر وقبل أن يودعهم طلب ما لديهم من مواعين فأعطاهم بها أرزاً "فوره" وقهوة وهيلها ودهناً من عكة كانت معه وهكذا انتصر علي بسبب رحمته للكلب.

أنقذته راعية الغنم:

جاء سليمان بن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن اللاحم مُسَنْداً من أبو عينين مع (ارحيل) يريدون القصيم فضاع من الحملة ناقة (أفختت) بالليل وفي الصباح وزعوا حِملها على النياق

الأخرى النشيطة وكانوا في مظماة (أي بعيدين عن الموارد). فقال لأصحابه: سيروا وأنا أُريد أن استقطع لها وألحق بكم.

فلما قص أثرها وجدها راجعة عن طريق الحملة فتبع أثرها وقرب حلول العصر وجدها وأثناء ذلك عطش عطشاً شديداً وبحث عن صحبه فإذا هم مُسندين من تالي الليل فأطلق من بندقيته لعل وعسى أن يسمعها أحد فيغيثه فإذا براعية غنم تقبل من بُعد فأسقته ونعتت له الدرب. وقالت لن تصل المارد إلا ظهر اليوم التالي. فتعرف على اسم أبيها وقومها.

وبعد أن وصل القصيم اشترى كسوة وعندما حدر مع "ارحيل" مرة ثانية ووصلوا حراة مقاطن قومها سأل عن والدها حتى اهتدى إلى قطينهم فقابل والدها وأعطاه الكسوة وقال هذه لفلانة فصارت عادة له أن يصل أهلها حتى انتهت حملات "ارحيل"!!

تآزر الناس وكفاءة النساء:

يروي إبراهيم بن عبدالله بن محمد البليهي• أن والده رحمه الله زرع في سنة من السنين بالدويحرة فلما أشرف الزرع على الاستواء أقبل عليهم في يوم من الأيام صغار الجراد "الدبا" من جهة القبلة، فلما علموا به وأنه في طريقه إليهم وأنه سوف يتلف محصولاتهم قام والدي عبدالله مستفزعاً الجماعة وقال لصاحبه إبراهيم الهميلي إن الجراد سيأكل الزرع فأخبر جماعتك لنقوم بحفر خندق تحيط بالزرع فقال له الهميلي: إن الرمل من جهة القبلة لا يمكن حفره ولكني أرى أن نقف على الزرع جماعة رجالاً ونساءً ونقوم بحصده مرة واحدة ولو لم يتم استواؤه استواءً كاملاً لعله أن يستوي بعد حصاده. فاتفقوا على هذا الرأي. فقام الهميلي معلناً في جماعته أننا صباح غدٍ على موعدٍ في مزرعة البليهي. فحضر الجميع في الموعد المحدد وذلك قبل طلوع الشمس. وسموا الله واصطفوا صفوفاً، الرجال من جهة والنساء من جهة.

وفي القصة ما يدل على تآزر الناس في ذلك الوقت، كما أنها تدل على الكفاءة المتناهية لدى بعض النساء حيث طلب البليهي من زوجته بنت ابن بطي أن تصنع لكل هذا الجمع من الناس طعام الغداء وتستعين على ذلك بنساء العامل والرايس لصنع الطعام. فقالت: لست بحاجة إلى المساعدة أنا أكفيك ما تريد فإذا ارتفعت الشمس في السماء فأرسل إلّي من يأخذ الطعام. وهو "المراصيع واللبن" فيوصله إليهم. فصنعت الطعام لجميع أهل البرجسيات.

فلما كان بعد صلاة الظهر قامت إلى العيش الواقف وهو المسمى "اللقيمي" وحصدت منه ما يكفيها وقامت بفركه حتى أخرجت الحب منه وقامت بتشميسه لمدة ساعة ثم وضعته في الرحى وقامت بطحنه، ثم ذبحت ذبيحتين بنفسها وأعدت طعام العشاء.

فما أن جاء المساء حتى أصبح الزرع بأكمله محصوداً. وهذه هي عادات الجماعة عند حاجة بعضهم لبعض. فعند قيامهم بحفر بئر أو إنشاء منزل مثلاً كانوا يجتمعون بأكملهم لذلك وكذلك عند حصد مزارعهم وكذلك عند تعرض مواشي أحدهم للسرقة من قبل قطاع الطرق فإنهم يسعون جميعاً لإرجاعها ورد الحق لصاحبه.

يحمل الحمار تقديراً لوالده:

يقول بعض كبار السن خرج إبراهيم الحميد وولده المشتهر بأبو خميِّس من بريدة ومعهم حمار عليه كيس حنطة (عيش) زنته ١٠٠ وزنة تقريباً ليزرعوه بالطعمية غرب الشماسية فحال دونهم سيل الوادي فعزموا على حمل الحمار وكيس العيش وكانا معروفين بالشجاعة والقوة فشال الوالد الكيس والولد شال الحمار تقديراً لوالده فعبرا مجرى الوادي.

يحمل المربوعة على كتفه:

وفي وقت السواني يقول بعض كبار السن زرع محمد بن إبراهيم بن راشد الحميد قصرهم المعروف بجنوب بطين الشماسية على مربوعة وفي ذات يوم حصل خلل بالدامغة -الخشبة الغليظة التي تعرض على مقدمة الزرانيق- والبعارين تسني المربوعة فصعد على الزرنوق مما يلي الخلل واتكأ للدامغة وجعلها على كتفه حتى صدَّرت البعارين وأوردت والدامغة على كتفه وعليها ١٧ نبعاً ثم أوقفوها لإصلاح الخلل رحمهم الله.

زرع قليل:

في عام ١٢٩٥هـ تقريباً كان بديوي بن عبدالرحمن بن بديوي الجناح زارعاً ملكه الكائن غرب الجامع الكبير بالشماسية وكان يسني ثوراً ويزعب بغرب ثانٍ هو وأولاده وفي ذات يوم سَيَّرَ عليه أحد المزارعين أمثاله فرحب به وقهواه ومشَّاه على الزُّرَيْع فإذا هو قليل وبَذْره دَيْنٌ فقال هذه الأبيات:

زرعي وزرعك يـا بديـوي خَدِيْنِيـن[1] مـا ظنّتـي يِعْجِبـك عِنْـدَ الجرينـا
إن حَطّيت نـاطور فابشـر إبمدّيـن[2] والْـلاّ فـلا والله يَملـى الثّمِيْنَـا[3]
ولا بُدُّكـم عنـد الامـير إمْتِشـاكين والـلاّ إفْعِنـدَ الحنبلـي[4] جَالِسـينا
أنـا غلبتـك فـي إخيـار الدّيـايين ولا صـار قَـدّ إمْيَـانِتِيْ مـا يِجِيْنـا

الكلب يعثر على الماء:

يـروي عبدالرحمـن بـن عبدالله بـن محمـد البليهـي مـن كبـار السـن ويقـول: أن أهـل حملـة ومعهـم محمـد بـن إبراهيـم الحميـد سَـنِّدَوا إلـى الحجـاز بحمـول (دِهِـنْ) -بجمـرة القيـظ- وفـي طريقهـم مـرُّوا بقريـةٍ مـن القـرى القريبـة مـن ضريـة فَتَوَلَّجَهـم كلـبٌ اسْـتدرك مـن الظمأ بعد يوم أو يومين من متابعتهم مع قلة ماء الحملة، فتركوه في طريقهم وواصلـوا سيرهم حتى الليـل حيـث نزلـوا للعشـاء فـإذا بـالكلب يلحـق بهـم نشـيطاً وعليـه أثـر نـدى فقصـوا أثـره في الصباح فإذا قرب الموقـع الـذي تركـوه فيـه نقعـة مـاء فَـوَرَدُوا عليهـا وسَـقَوا إبلهـم ومـلأوا قربهم منها.

حلم ناصر العليان:

يقـول نـاصر بـن علـي بـن محمـد العليـان: اعتمـرت فـي شـهر رمضـان المبـارك مـع أخـي عبدالرحمن ووالدتي والأهل فنمت بعد صلاة الفجر في الحرم فرأيت نوراً سطع في المسجد الحرام وقد خرج منه عبدالله بن عبدالعزيز البليهي وعليه مشلح وخلفه حورية. فقلت من هذه. قال: هذه زوجتي من الحور العين. ثم قال: أوصيك على عيالي لا يصير عليهم منقود. فلما وصلت بريدة ذهبت مع أخي عبدالرحمن وقابلنا زوجة عبدالله رحمه الله وأخبرناها بالرؤيا ففرحت. وكان عبدالله مشهوراً بالكرم والسخاء وطيب المعشر.

---

(١) خدينين: صحيبين (أصحاب).
(٢) مدين: مفرده مِدْ والمد يساوي ١/٣ (ثلث) الصاع.
(٣) الثمين: يساوي ١/٨ (ثمن) النصيف، والنصيف سدس الصاع.
(٤) الحنبلي: القاضي الشرعي.

طائر البط:

يعد حمد بن محمد بن عبدالله السنيدي من هواة الصيد المشهورين. سبر طائر بط في مساء أحد الأيام حتى وقّع في صدر النفود قبالة أثل مزرعة إلهدة من غرب. فحمل سلاحه وختله حتى قرب منه ولكنه رأى طائرين وليس واحداً ففرح بهذا الصيد الثمين. فصوَّب بندقيته (الكبسون) نحوهما من خلف عثمور شجيرة رمث وقد حرص على إصابتهما برصاصة واحدة (مجامل بفتح الميم الثانية). ولكنه عندما همز الزناد وانفجر البارود تحول الطائران إلى بنتين شابتين يصيحان بأعلى صوتيهما: الرجل رْمَانا... الرجل رمانا. وكانتا تحتطبان. فلما أقبل عليهما رأتاه من بُعد قبل أن يراهما فقعدتا لتختفيان عنه.

يقول المذكور فلما رأيت ما حدث أصبت بالرعب الشديد لأنني توقعت أن تكون إصاباتهن بالغة حيث إنني صوبت بتأنٍ ودقة. ولكن تبين بعد ذلك أنها جاءت سليمة حيث اخترقت الرصاصة ثدي واحدة منهما وسلمت الأخرى كما لم تتضرر المصابة كثيراً. وكان ذلك عام ١٣٧٢هـ.

الضيف يجلد زوجة المضيف:

يروي إبراهيم بن عبدالله بن محمد البليهي هذه القصة فيقول: إنه في إحدى الليالي وعندما كنت مزارعاً في منطقة الحمادة بالقرب من الزلفي، زارني أحد رجالات البادية من قرية "مليح" ويدعى مشعل المطيري وقمت بحق الضيافة تجاهه وتجاذبت معه أطراف الحديث. فقال لي: هل عبدالله بن عبدالعزيز البليهي المزارع "بالسويق" من ذوي أرحامك؟ فقلت: نعم هو ابن عمي. فقال لي: لقد كانت لي معه قصة.

ففي أحد الأيام مررت بالقرب من داره وأنا ذاهب لبيع غنم لي. فلما أصبحت بمحاذاة داره ابتعدت قليلاً لأني أعتقد أن الحضر يكرهون البدو. فلما رآني لحق بي وقال: مالك تتجنبنا والمساء قد حل وليس أمامك أحد إلا البر والبرد الشديد. ابق في ضيافتي هذه الليلة.

فأرجعني ومعي أغنامي وأقمت عنده تلك الليلة وأكرمني إكراماً شديداً ووجدته رجلاً واسع الصدر، بشوشاً، الكل عنده على حد سواء، سواء كانوا من البادية أم من الحاضرة وهذه هي أخلاق الكرماء.

فلما بزغ الفجر غادرت منزله بعد أن ودعني وأصر على أن أزوره مرة أخرى. ومرت الأيام حتى جاءت فرصة لزيارته فقد ذهبت لبيع غنم فمررت بداره، ولكن في هذه المرة كان يصحبني رجلان من أصدقائي، فخجلت من النزول عنده وواصلنا مسيرنا ولكن عبدالله الرجل الكريم رآنا فعرفني وقال لي: أين الوصية يا مشعل؟!

فقلت له: إن معي جماعة واستحييت من المبيت عندكم فقال لي: لا بأس عليك يا مشعل حياك الله ومن معك. فنزلت عنده أنا وأصحابي وأكرمنا أيما إكرام فلما فرغنا من تناول طعام العشاء أحضر لنا ألحفة وغطانا بها وكنا في مجلس داره. وكان المجلس غرفة كبيرة في آخرها ربطت بعض الأغنام.

فلما أخذ كل واحد منا مضجعه قال أحد أصحابي: سوف أقوم بحلب هذه الأغنام لنشرب منها فقلت له: لا تحرجنا عند صاحب الدار الذي أكرمنا والله لا تقوم ولا تحلب.

فقال لي: بل سوف أقوم وأحلب. فقلت له: هذه العصا بيدي إن قمت ضربتك على رأسك. بعد ذلك خيم السكون أرجاء الغرفة ونمنا نوماً عميقاً. وبعد منتصف الليل استيقظت على صوت عند الأغنام يقوم بحلبها فقلت في نفسي: هذا فلان لم يجدِ معه التهديد ولكني سأعطيه درساً لن ينساه أبداً.

فأخذت العصا بيدي ومشيت ببطء حتى اقتربت من مصدر الصوت وهويت بالعصا على من كان يحلب. فلما صرخ أدركت أنها زوجة عبدالله "سلمى بنت ناصر العقل" جاءت لحلب أغنامها بعد أن أيقنت أننا قد نمنا.

وفي ذلك الوقت أصابتني الحيرة والخوف فما كان مني إلا أن استدعيت صاحب الدار الذي جاء مسرعاً حاملاً معه سراجه فأخبرته الخبر والخوف يتملكني، فما كان من هذا الرجل الطيب إلا أن تبسم في وجهي وقال لي: لا عليك إنها امرأة قوية لن يؤثر فيها ضرب العصا. عند ذلك هدأ روعي وشكرت للرجل حلمه وأناته ومعروفه الذي لن أنساه أبداً.

أوْقَدَ النَّار بالمحَّالة إكراماً لضيوفه:

يروي إبراهيم بن عبدالله بن محمد البليهي هذه القصة فيقول: سمعت فيما مضى عن رجلين على زمن السيارات القديمة من نوع "فورد" أنهم ذهبوا يحتطبون من منطقة "صعافيق" فلما

انتهوا من الاحتطاب ورجعوا إلى منازلهم نزل عليهم مطر شديد في طريقهم فواصلوا السير رغم الصعاب التي واجهتهم. فلما وصلوا شعيب "بقر" وجدوه قد امتلأ بالماء فلما قطعوا نصف هذا الشعيب توقفت السيارة بسبب الماء، فقال أحدهما للآخر: سوف نبقى في السيارة حتى يتوقف المطر. وقال الآخر: أرى أن ننزل من السيارة ونسير على أقدامنا لأن السيارة سوف تنقلب من كثرة الماء وفعلاً نزلوا وساروا على أقدامهم حتى خرجوا من هذا الشعيب فرأوا أن يذهبوا إلى عبدالله البليهي "بالسويق" وكان الوقت متأخراً من الليل والبرد شديد جداً.

فلما وصلوا إلى داره نادوه فخرج إليهم ورحب بهم وأدخلهم وذهب إلى زوجته سلمى الناصر العقل وأخبرها فقامت بعجن الدقيق غير أنه لم يكن لديهم حطب لصنع الطعام.

ففكر عبدالله بالأمر ثم توجه إلى محالته التي كانت مسندة في زاوية من الغرفة فأخذها وقام بتكسيرها وأشعل النار من أسنانها ثم قام بخبز العجينة فلما نضجت أرسلها إلى امرأته فقامت بفركها مع السمن ثم أتى به إليهم وبعد تناولهم العشاء ناموا عنده وفي الصباح غادروا منزله فقال أحدهما للآخر: لقد كنا سبباً في كسر محالته، ولكني سأعطيه جزاء لمعروفه ما احتطبناه البارحة من الحطب. فقال الآخر: لا أعتقد أنه سيقبل ويأخذه فقال الآخر: إن وجدناه في منزله رجعنا بحطبنا وعدنا في يوم آخر وأنزلناه دون أن يشعر بنا. فلما وصلوا منزله نادوه فقالت زوجته: إنه قد ذهب إلى بريدة فقالوا لها: إنه قد اشترى هذا الحطب منا فأنزلوه ورجعوا إلى الشماسية. وإن هذه القصة وغيرها من القصص لخير شاهد على كرم عبدالله البليهي وحبه للخير، وهو معروف بذلك ومشهور عنه.

الضبعة تصبح قرداً:

خرج سالم بن حمد السالم رحمه الله ذات صباح من بيته بحي البدع فمر بحائط السعيِّد قريباً من بيته فرأى بالحائط ضبعة بين شجيرات (اللوبا) فيما بين أحواض البرسيم، فانقلب إلى بيته مسرعاً وعاد بالبندقية وترصد للصيد الثمين وفي هذه الأثناء انتبه الحيوان "الذكي" إلى ما يدور حوله فعرف أنه المستهدف فأقعى مقبلاً بوجهه نحو المترصِّد له وأخذ يعرك عينيه بظاهر كفيه ويأخذ مما في فمه من ثمر اللوبا ويلقي في الأرض ويقهقه وكأنه يعتذر من فعلته، فما كان من سالم إلا أن رفع البندقية وعاد أدراجه فمر بنفر من أصحابه جلوساً في طائفة مجلس الحي القديم فقال لهم: تعالوا

انظروا الجني بِحِيَالة السعيِّد فهبوا معه مسرعين ولما عاينوا ما رأى وكان من بينهم رجل سبق أن سافر ورأى القردة فقال: هذا "الشاذي" هذا قرد. ولم يكن سالم رأى القرد قبل ذلك اليوم.

بارك الله في زرعه:

يروي بعض كبار السن أن محمد بن مطير بن مطرود المطرود رحمه الله زرع مزرعة "السَّابقيَّة" شعيراً سنة الجوع فأخذ بعض الناس يسطون عليه ليلاً من شدة الجوع ويأكلونه قصيلاً وكان معروفاً بسماحته وكرمه لذلك أراد أن يحافظ على زرعه دون أن يمنع أحداً ألجأه الجوع على أكل القصيل، فوضع المخالب "المحاش" بجوار الزرع وبعد صلاة الجمعة نبَّه على الجماعة وقال: الذي بحاجة إلى القصيل لا يقلعه ترى المخالب عند الزرع ومسموحين فصاروا يحصدون منه حصداً بمقدار ما يسد جوعهم حتى بدأ الشعير يركب كعوبه وصار لا يصلح للأكل يقال فأنزل الله في زرعه البركة وأتى مواتياً لم يأت زرع مواتية ذلك العام في "البطين" الشماسية.

الطفل تخطفه الولبة:

يروي بعض كبار السن بأن إبراهيم بن سليمان بن مطرود المطرودي مشهور بالشجاعة وصيد الضباع والذئاب زينته بدوية من قطينٍ بأم سدرة تنخاه لإنقاذ طفلها الذي نهبه الذئب بمهاده ونحر[1] مجحرة أم خبراء. فأخذ بندقيته -وكان لا يملك في ذلك اليوم سوى طلقتين- وأسرع إلى المجحرة فإذا بصغار الذئب تلعب على الطفل أمام فوهة المجحرة وأمها رابضة بالقرب منها. فصوب بندقيته نحو الأم فصرعها فزبنت الصغارُ داخل المجحرة وحمل الطفل سليماً إلا من مُخيشات لم تكن بليغة وفي طريق رَجْعَتِه كان متخوفاً من قدوم الذكر وفعلاً لقيه فاغراً فاه من تحت جال أم خبراء حيث أنه سمع إطلاق النار وشم رائحة الرجل فأعطاه الطلقة الثانية وأرداه قتيلاً.

إخراج الناقة الميتة في البئر قِطَعاً لئلا يموت الزرع:

يروي عبدالرحمن بن سليمان البليهي قال: طاحت[2] ناقة لي في بئر نخل البلاها فتكسرت قوائمها، فقمت أنا وعبدالكريم بن ناصر بن علي الوليعي بالنزول على الناقة لذبحها للاستفادة منها

(١) قصد

(٢) سقطت.

فلما وصلناها وجدناها قد ماتت. وكان عندنا بعض الرجال فلما علموا بأن الناقة قد ماتت دون أن تذبح انصرفوا دون مساعدتنا على إخراجها، وهذا يخالف عادة رجال الجماعة الذين يتكاتفون كيد واحدة في السراء والضراء. فبقيت أنا وعبدالكريم الوليعي الذي كان يعمل صبياً عندي بتقطيع الناقة وإخراج القطع خارج البئر لأن الوقت صيف والزرع بحاجة للماء. وما انتهينا إلا وقد بلغ منا التعب مبلغه. وكان عبدالكريم بن ناصر الوليعي ولداً شهماً يتمتع بأخلاق فاضلة مع قوة العزيمة وتحمل المشاق والصبر على التعب مع سعة بال، ومن أجل هذه الصفات الحميدة كان يعادل عندي أحد أبنائي وقد عمل عندي سنوات طويلة وبعد وفاته أسميت ابني عبدالكريم عليه. وقد حزنت عليه كثيراً رحمه الله.

إنقاذ البقرة يستحق المخاطرة والاستعانة بالجيران:

قال سليمان بن دخيل الجار الله: "إنه عندما حفر البئر في مزرعته جاءت بقرة وسقطت فيها ونزل عليها بعد المغرب وربطها بحبل في الغار داخل البئر إلى الصباح وفي الظلام داخل البئر سحبها من الماء وإذا بها تكسر ضلعين من أضلاعي وفي الصباح استفزعنا جيراننا السهول والفوزان والهميلي وكانوا سبعة رجال فمتحوها بالرشاء من أسفل البئر حتى خرجت سالمة."

جمع الجثجات للوقاية من الدبا:

يروي سليمان بن دخيل الجار الله أنه خرج وأخوه عبدالله ورفقة معهم يبحثون عن شجيرات جثجات يكمون بها البلح عن الدبا ولكنهم لم يوفقوا للحصول على مطلوبهم، وبدلاً من ذلك حشوا عشباً من روضة غنيم. يقول: فتركت رفقتي وقلت لهم أبحث لكم عن أحسن منه، وركبت ناقتي ووصلت (أبو احكار) ووجدت فيه عشباً لا يوصف، وعنده بدو. فأتيت إليهم وشربت معهم القهوة فسألوني عن سبب مجيئي. فقلت لهم: أدوِّر جثجات. فرجعت إلى رفاقي وقلت لهم: ارحلوا وجدت لكم المكان المناسب. فسرينا بالليل ووضعت سهيل أمامي وقبيل صلاة الصبح وصلنا المكان، فأخذ كل واحد منا مكانه. فلما جاء البدو الذين رأيتهم بالأمس وعرفوني قالوا: تقول العرب: "العرج الأفص، والحمر الأخص، والعور الأشص، لا يضوون على نارك". ولم نبال بهذا فحشينا أكثر منهم.

من وراء الباب:

يقول محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن العبداللطيف رحمه الله كنت سنة جراب ممن يناوبون بمرقب العقدة الجنوبية وفي إحدى الليالي طرق باب العقدة طارق فكلمه إبراهيم بن محمد بن مانع البليهي قائلاً: من وراء الباب فرد الطارق قائلاً: أنا ابن مطرف "رجَّال" ابن سعود فقال البليهي احلف بالله إنك "رجال" عبدالعزيز بن سعود فحلف ففتح له الباب وطلب منه أخبار ابن سعود فقال ابن مطرف: عَشُّون ويكون خير. فضيَّفه البليهي وسمع منه أخبار عبدالعزيز وأنه مقبل ويريد أن ينزل مع الدرب ولكن السبر وجد الدرب مسدوداً بالحصى الكبار وروَّحني أستقصي الأخبار وهل أنتم مع ابن سعود والا لا.. فقال البليهي: ما حمينا الديرة إلا نحتري ابن سعود وحِنَّا وعيالنا كبيرهم وصغيرهم ومالنا وحلالنا فدْوةٍ له. عَلِّم عبدالعزيز والدرب نفتحه الفجر إن شاء الله. وبعد صلاة الفجر دعوا ذوي القوة من الجماعة وفتحوه وفي الضحى نزل عبدالعزيز على الجيش من الدرب وخيَّم شمال قصر لهدة بمصلى العيد حالياً. رحم الله الجميع.

صيد النَّفِيج:

محمد بن سالم بن حمد السالم رحمه الله من هواة القنص المشهورين والمهتمين بأوقاته وإجادة فنونه وبندقه والذخيرة التي يحسنون عملها وكان يملك مجموعة من أدوات ولوازم تصنيع الملح والمخباط والدرج وصيانة الأسلحة بأنواعها.

ضافه صديق له كان يتعامل معه بالسلاح والذخيرة وطلب منه أن يقوما برحلة لصيد الأرانب بالنهار حيث تكثر في ذلك الوقت في صفراء الشماسية وصيد الأرانب بالنهار يسمى "صيد النَّفِيج" فوافق وقام ليشد حمارته فقال رفيقه نشد حماري فإنه أقوى تحملاً فشده وذهبا للصيد وفي طريقهما أخذ يسرد القصة تلو القصة كلها في الصيد وفنونه وقرب مضان اختباء الأرانب طلب محمد من ضيفه أن يركب في المقدمة ففعل وبعد أن سارا قليلاً إذا بأرنب تنفج من أمامهما فصوب الضيف المتعطش للصيد بندقيته "كبسون" بسرعة وهمز الزناد تجاه الأرنب، يقول محمد وآخر علمي به يهمز الزناد والحمار ينهض بنا بقوة ويهوي صريعاً يتخبط بدماء تسيل من رأسه بغزارة نتيجة الطلقة التي شلعت جزءً من جمجمته وأذنيه وعدنا مفلسين نتعاقب حمل المزودة.

أم جوير تحش وتسني لوحدها سنتين:

تقول أم جوير زوجة محمد الجار الله: أخذت في خل صوفان أحش وأسني وحدي سنتين وأبو جوير لا يأتي إلا يوم ثالث يجلب الحشيش ويبيعه وإذا لم يحضر تلك الليلة أجمع البقر والغنم في الليل وأربطها على شكل دائرة وأنام في الوسط وعلى هذه الطريقة مضت السنتان.

تصنيف الرجال مفيد:

يروي سليمان بن دخيل الجار الله عن والده أنه قال: كنت أحش في الخويش وقبل الظهر وأنا في طريقي إلى البرجسية مررت على الدويحرة للحصول على الماء وإذا أنا بحملة قادمة من الرياض يريدون عنيزة، فقالوا لي: معنا خمسة مكاتيب نريد توصيلها إلى أهلنا في عنيزة قبل المغرب على أن ينتظرونا في وادي العمران وندفع لكل مكتوب ريال ولكن بشرط أن تترك بعيرك عندنا.

وأخذت المكاتيب وانطلقت بعد الظهر راجلاً ووصلت عنيزة قبل المغرب بساعة تقريباً وذهبت إلى رجل وقلت له: معي مكاتيب لا أعرف أهلها وبعد قراءته عناوينها قال للأول: ونعم، والثاني ونعمين، والثالث إيه، والرابع هين، والخامس هينين. فجعلت الأول والثاني في مخباتي وقلت: أبدأ بهينين، وطرقت الباب فقال: من عند الباب؟ قلت: معي مكتوب قال: أدخله من تحت الباب، وذهبت إلى "هين" وطرقت عليه الباب وقال: من عند الباب فقلت: معي مكتوب ففتح الباب وأخذه. وذهبت إلى الثالث "إيه" فطرقت الباب ففتح الباب وسلم وعرض علي الدخول ولم يلزم. فذهبت إلى "ونعم" ففتح الباب ورحب بي وأخذ المكتوب ولزَّم علي وقلت: أنا أريد شخصاً آخر إن حصلته وإلا المرد عليك. قال: أبشر وذهبت إلى "ونعمين" فلما طرقت الباب خرج مسرعاً وقال لي: أدخل، فقلت: معي مكتوب فقال: اترك المكتوب الآن. قلت: أريد أن أصلي في المسجد. قال: أنت "طرقي" صل في البيت وأكرمني إكراماً لائقاً وأعطاني ريالاً وشماغاً وطبخة قهوة. ورجعت إلى "ونعم" فأعطاني ريالاً ثم رجعت إلى أصحابي في وادي العمران وأخذت جملي وأخذت خمسة الريالات ورجعت إلى عيالي غانماً سالماً.

تدريب الشباب على اللقاء عبر مناورات حية:

روى إبراهيم بن عبدالله بن محمد البليهي كما يروي كثيرون دواعي التدرب على الملاقاة فقال إنه في أثناء الصراع بين الملك المغفور له عبدالعزيز آل سعود وبين ابن رشيد وقبل ذلك منذ

نشأة الشماسية استغلت هذه الفترات المضطربة للإغارة على الحاضرة وسلب أموالهم وأملاكهم من بعض ضعاف النفوس فاعتاد أهالي الشماسية على رد مثل هذه الغارات كغيرهم كما اعتادوا على أن يعلموا أبناءهم الإقدام في الحروب.

وفي الزمن المتأخر قرروا أن يخصصوا عصر كل يوم جمعة لتقوم المناوشات بين أبناء العقدة الشمالية والجنوبية ليتدربوا على الحروب ويقدموا فيها. وفي إحدى الفترات الأخيرى كان فتوة العقدة الشمالية هم: إبراهيم البليهي وسعيد بن محمد السعيد وسليمان الفيصل الفوزان وأخوه محمد وعلي العباس وسليمان النغيمشي وعبدالكريم الناصر المطوع وعبدالكريم الغيث وعبدالله الخطاف وعبدالكريم الخطيب وأخوه عبدالله وعبدالرحمن الحماد وعبدالله النصيان وأخوه محمد وأخوه عبدالعزيز وعبدالله الزيد وأخوه عبدالعزيز وأخوه عبدالكريم وعبدالعزيز بن جار الله البازعي وعلي المطلق ورْشيد الحبيِّب.

أما العقدة الجنوبية فهم عبدالرحمن العقل وعبدالله العقل ورْشيد الرشيد وعلي العقل وابن أخيه إبراهيم العقل وعبدالله المطير ومحمد الخطيب ومحمد الفريحي وعبدالرحمن بن عبدالله اليوسف وأخوه عبدالعزيز وأخوه محمد وشايع اللاحم وعبدالله الرباعين وحمود السواجي وغيرهم. وكان يجتمع أهالي العقدة الشمالية تحت أثل السعيِّد وأهالي العقدة الجنوبية تحت مقصورة الفعاما.

وبعد صلاة الجمعة تقوم المناوشات بينهم لمدة ساعة ونصف تقريباً بالمقاليع وهي من صوف ولها خيوط مستطيلة يوضع فيها حجر وزنه تقريباً ثلث كيلو فيحرك هذا المقلاع ويمسك خيطاً ويطلق الخيط الثاني ثم تنطلق الحجارة لتصيب من يقابلها ولو كان بعيداً وإذا اقتربت فئة من فئة أخرى طووا المقاليع على أيديهم وأخذوا الحجارة بأيديهم حتى تصبح عملية قذف الحجارة أسرع وتسمى هذه العملية (من يد). ثم تتحول إلى الاشتباك بالأيدي والضرب بالأكف والمصارعة وكان يصاب من يصاب ويسلم من يسلم ولكن المصاب لا يحاسب من أصابه ولا يسأل عنه. وقد تكون هذه الإصابات بليغة كما أصيب "عبدالله النصيان" بحجارة أثرت فيه لمدة أربعة أشهر قضاها في منزله. وكذلك عبدالكريم المطوع أقام مدة شهرين في منزله من جراء حجارة أصابته في وجهه.

يصيدون الأرانب بخندق وسقوط الجمل عقوبة:

ذكر إبراهيم بن عبدالله بن محمد البليهي أنه عندما حلَّ فصل الصيف منذ قرابة خمسة وخمسين عاماً كان من عادة الناس أن يزرعوا ذرة بالمزرع الشرقي في حواف الجبل الشرقي، فلما نبتت وأخضرت أخذت الأرانب ترتاد الحقل وتأكل من الذرة. فاتفق أخي سليمان وأخي حمود وصالح العبدالعزيز الحماد على خطة كي يتخلصوا من الأرانب البرية التي تنزل من الجبل وتتلف الذرة، فقاموا بإحضار مجموعة أشجار وجعلوها تحيط بالحقل وحفروا خندقاً يحيط بالحقل عمقه متران تقريباً، وعندما يحل الليل يضعون فوقها شيئاً خفيفاً من الأعشاب وسعف النخيل. فإذا جاءت الأرانب هوت في الخندق، وإذا أصبحوا وجدوا الأرانب فيها واستمر الحال على ذلك وكانوا مسرورين بتلك الفكرة. وفي يوم من الأيام خرج صالح الخطيب راكباً جمله قاصداً الحقل ليأكل الجمل منه ولم يشعر بنفسه إلا وهو في داخل الخندق، فلما أصبح الصبح أتى حمود مسرعاً ليخرج الأرانب فوجد الجمل قابعاً في الخندق، فرجع لصالح العبدالعزيز الحماد فأخبره الخبر. وقال له: كان الله في عونك فقد امتلأت الحفرة بأرانب كبيرة هذه المرة. وأخذ عتلته ومسحاته فقال له: صالح وما حاجتنا بها فقال له: حمود إذا وصلنا سوف تعرف لماذا؟ فلما وصلوا وإذا الجمل في الخندق وتحيروا في إخراجه نظراً لعمق الخندق الشديد فبدأوا يحفرون حتى أخرجوه فقال: حمود هذه عقوبتي مما جرى للأرانب.

"قُدُوْعٍ" أملَح:

في إحدى ليالي شتاء عام ١٣٦٨هـ القارسة البرودة قدم زيد بن محمد بن زيد الميموني ورفيقه نزَّال السعدوني من جهة نفود الثويرات ليس معهما راحلة ولا طعام فأخذ منهما الجوع والبرد فنصبا رُويضة ابن صالح وعند منتصف الليل وصلا فاحتميا بالمسجد وما أن أخذهما النوم فإذا بالمؤذن يؤذن فقاما وتوضئا من ماء بارد بالبركة وهما فرحان بالصبح لعل أحداً يستضيفهما ولم يتم فرحهما لأنها صلاة خسوف وبعد أن زال السبب وصلوا صلاة الصبح ضيفهما عبدالله بن سالم بن عبدالله الشمالي حيث كان يعمل أجيراً عند راعي الرويضة فقدم لهما التمر من الخضري وصَبَّ القهوة وما أن أحَسَّا بالدفء وسد الجوع قص عليهما السعدوني قصة ضياع قعود له فقال في السنة الفلانية كنت أدوِّر على "قدوع" أملح يريد قعود أملح من شدة الفرح بالدفء و"القدوع" التمر.

من "يبينا" حيَّاه الله:

يروي بعض كبار السن أن عبدالله بن عبدالعزيز بن صالح المطوع (الدعجاني) رحمه الله حضر كثيراً من المعارك التي خاضها "المغفور له إن شاء الله" الإمام عبدالعزيز بن سعود في سبيل توحيد البلاد ولم الشمل.

ومن تلك المعارك المعركة الفاصلة التي حصلت بأبرق المذبح شمال شرق روضة اللغف بمحافظة الشماسية التي قتل فيها عبدالعزيز بن متعب بن رشيد في ١٨ صفر من عام ١٣٢٤هـ يقول الدعجاني في تلك الليلة نَوَّخْنَا في الخابية الشمالية بالمستوي وقصدنا مخيم ابن رشيد وقرب الفجر صار الكون ولما بان الصبح المبكر حمَّلتُ ناقة طيبة بالزّل وشتلت عقالها وخرجت بها من المعركة فإذا بأربعة رجال من القوم ينطحونني فأخذوا الناقة بحملها وسددوا إليَّ طلقة سلمت منها وعدت مسرعاً إلى أصحابي وفي الضحى اجتمع ابن سعود بالناس (جنوب غرب الأبرق الذي حصلت فيه المعركة) وارتفع على عثمور رمث ونصح الجموع ومما قال: "من يبينا حيَّاه الله ومن لا يبينا يُزَهِّب نفسه ويتفقد إخوياه وحافظه الله وتراه مسموح".

يقول الدعجاني وقد شكيت الحال على ابن سعود فقال (رحمه الله) "والله إنّه باينٍ إنْها ما هي من صيداتهم لكن إن كان عندك شهود يصير خير ياوْلِدي".

الرجال مخابر لا مظاهر:

حج سليمان بن عبدالعزيز الطريقي عام ١٣٥٨هـ وفي الأبطح وجد عثمان بن عبدالعزيز العثمان ووالدته متخلفين عن صحبة الحملة فسأله عن سبب تأخرهما فذكر له السبب وهو ضلع الناقة فطمأنه وراح من عنده إلى سوق البعير بمكة المكرمة فاشترى ذلولاً زرقاء طيِّبة وزمَّلها إيَّاه وقال إذا وصلت صَدِّر[1] عليها ويكون خير. فركبها عثمان ووالدته وقادا ناقتهما ووصلا مع الحملة. وبعد ذلك زرع بقصر عسرة بجنوب البطين وصدَّر عليها وفي الصيف أطلعها مع "الشواوي-الرعاة" حتى وقت "الصِّدَر-السواني" على الذرة. وكثيراً ما يُذكر سليمان الطريقي بالعلوم الطيبة والفزعة للجماعة صغيرهم وكبيرهم. (رحم الله الجميع).

(١) ابدأ بالسناية عليها.

رأى الهدام في المنام:

يروي بعض كبار السن بأن فهد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبداللطيف اللاحم رأى في المنام قُبيل بدء هطول أمطار سنة الهدام عام (١٣٧٦هـ) أنه ستأتي أمطار غزيرة تهدم البيوت فلما أصبح وصلى الفجر استعار مسحاة ومحفراً وتحزَّم بمحزمه وأخذ ينقل على رأسه التراب والطين ويُلبِّبه على سور داره حتى أحاطه بعقم رفيع والمارة ينظرون إليه بشيء من السخرية. وبعد أيام قليلة أنشأت السماء وتلبدت بالسحب الثقيلة مخيفة الناس بصواعقها وشدة رعودها وبروقها ثم أمطرت مطراً عظيماً متواصلاً (دِيم) دام أكثر من نصف شهر لم تر فيه الشمس يوماً واحداً امتلأت على إثرها الحياييل والحيطان والمطاين والقلبان، ثم ارتفع السيل حتى دخل بعض البيوت محدثاً بعض الأضرار إلا بيت الرائي (فهد) وبعض البيوت والقصور المقامة على مواقع مرتفعة عن مظان تجمع السيول. فخرج معظم الناس بعوائلهم وأمتعتهم وأدباشهم وزينوا الوجم والحزوم الموالية للعقاد من جهة الشرق ونصبوا الخيام التي مدتهم بها الحكومة وبعد أن انقشعت السحب وطلعت الشمس وامتد الناس أرسلت الحكومة رجالها لتقدير الأضرار وتعويض أصحابها.

بناء قهوةٍ كبيرةٍ في يوم:

علي بن محمد العقل من أصحاب مزارع النخيل المشهورين غرس ملكهم إلهده (فيضة يدكّ بها جزء من شعيب الشطب) فكثر عنده العمال والعيال وفي إحدى ليالي رمضان المبارك جاءه خطار فضاقت بهم قهوة القصر القديم فلما أفطروا وبعد الصلاة تناولوا ما تيسر من الطعام وصدر الضيوف أقسم على أبنائه بأن لا يفطر في الغد إلا بقهوة كبيرة وقال لهم هذا الطين بالحيالة والحصى بالجبل وهو قريب والخشب بالأثل أمامكم. يقول كبار السن فقام أبناؤه من بعد فجر ليلتهم ينقلون الحصى على الحمير ويخلطون الطين ويبنون حتى أقاموا القهوة ثم قطعوا خشب الأثل فسقفوها بعد العصر وقبيل آذان المغرب شبوا النار فأفطر الوالد بقهوة كبيرة مطمومة.

حِيْنَمَا بَدَأَ الرَّمِيْ:

شارك عبدالله بن عبدالعزيز بن صالح المطوع في عدة معارك وكان قوياً فارع الطول توفي عام ١٣٩٠هـ يروى عنه قوله عرض لي صغير سن قُبَيْلَ بدء معركة البكيرية فَسلَّم عليَّ وتنحَّى بي غير بعيد وقال وهو يرتجف: أنا يا عم أول مرة أغزو وأخاف أنهزم. فقلت له: لا تنهزم يا ولدي. فرد

أنا خايف أنا خايف يا عم. فربطت ردنه بردني لعله يطمئن ووقفنا مع القوم وبعد قليل بدأ الرمي وبعجلة أخذت أكيل بارودي وأثور وأتقدم مع الرماية وكنا في أول المعركة نتقي بالعثامير ثم العثامير والرجال القتلى. وبعد أن هدأ الرمي أخذنا نتفقد أصحابنا فإذا بالصغير مستشهداً مع خلق كثير استشهدوا في تلك المعركة في سبيل الدفاع عن أنفسهم ومحارمهم وحرماتهم وأموالهم وبلادهم غفر الله لهم وأسكنهم فسيح جناته.

قطاع طريق وذئب:

جلب عبدالله بن عشوان بن عبدالله الهابس حِمْل نصي إلى عنيزة فباعه بريال واشترى وزنتي تمر وأداماً ومرَّ على قرابته (الصهمدة) وبعد أن صلى العصر عندهم ركب جمله وخرج من عنيزة سالكاً الدرب الذي يمر بالعوشزية وبموقع الأشرفية حالياً لمح رجلين متلثمين فخطر بباله أنهما اللذين يراقبانه في السوق فخاف من أن يأخذاه، لذلك فضل الرجوع والبقاء عند ذوي قرابته حتى الليل فلما أن صلى العشاء عندهم همَّ بالمسرى فنصحوه بالبقاء حتى يجد من يرافقه من "الجمَّالة" ولكنه أصر على رأيه فَبَطَّنَ الجمل ولبَّبه وحَقَبَهُ (وثق الشداد) ليسرع بالممشى فسرى وسلم منهما. وعندما قرب من شعبان صالح المعروفة أرخى على الجمل ثم أوقفه ليرتاح الجمل قليلاً فلم يمهله الذئب الذي أخذ يعوي عواءً مخيفاً فهو لا يحمل من السلاح سوى "مِسْوَقَه" لذلك ملأ المزودة بالحجارة ليدافع بها عن نفسه وركب وعاود السير فإذا بالذئب يقترب منه ويحاول التعرض للجمل وإيقافه وأبو عشوان يصيح على الجمل لئلا يبرك ويقذف الحجارة تجاه الذئب ويهاوزه بالمسوقة فما زال الذئب يقفز على مؤخرة الجمل تارة وعلى نحره تارة أخرى حتى أراد الله أن تصيب حجارة قذف بها تجاه الذئب حجارة بالأرض فقدحت شرراً فخاف الذئب وهرب وسلم أبو عشوان منه ومن اللصوص.

المتاع جُمْعُ طحين:

تعد فياض المستوي ورياضه مصدراً خصباً لأفضل أنواع الحشائش التي يعتمد عليها بعد الله أصحاب الماشية لا سيما لإبل السني التي تحتاج إلى القوامة الخاصة كي تنشط فتتحمل العمل في المناحي طيلة مواسم الزراعة.

ففي إحدى السنين شدّ[1] عبدالله بن عبدالعزيز اللاحم وأخوه محمد وصالح الخطيب وإخوته ونزلوا فيضة الشفلحية بشمال المستوي وصاروا خبرتين يحشون و"يحزمون" وذات يوم مرَّ طرقية (دوَّاره) بخبرة اللاحم وكان الباقي من متاعهم جُمع طحين لَتّوه في الضُّحى وشربوا عليه قليلاً من الماء. بالإضافة لحُبيبات قهوة وجريس هيل فشب عبدالله النار بعدما رحَّب وهلاً ثم عمل القهوة وصبَّها للضيوف وعندما هموا بالسير اعتذر منهم لعدم تقديم قدوع وقال: ترى أهل الخبرة اللي قدامكم ربع لنا سَيِّروا عليهم لعل باقٍ عندهم ما "يُوَجِّبكم". وراحوا من عنده.

وفي المساء من اليوم التالي سير عبدالله على الخطبان ليتعلل عندهم ويأخذ أخبار الطرقية وبينما هم جلوس قرب النار إذا بحشرة تجر رجل (قصمول) جرادة فظهر على وجهه الفرح وهو يقول: "ويش" ها الرزق عندكم. فقال صالح: أبشر بالخير الطرقية رأوا عمود جراد فذكروه لنا وبيتناه وصدنا خيراً كثيراً.!!

ذَبِيْحَةُ رَاعِ الحِصَان:

يروي راشد بن فوزان الفوزان قائلاً: سافرت أنا وخالي صالح بن سليمان الفعيم إلى سدير على بعيرين وفي مساء أحد الأيام أردنا الإمراح فأَنَخْنا جمالنا جوار سور مزرعة في شعيب ظلماء بالمجمعة وأشعلنا النار لعمل القهوة وما تيسر من العشاء وأثناء ذلك خرج صاحب القصر وقصد الإبل ثم انحرف إلينا بعجلة وهو يقول: تفضلوا يا عيال أنتم ضيوفنا ولا نسمح لكم تجَاوِرونَنَا ولا تفضلون. وألح علينا فوافقنا وتفضلنا بعد صلاة المغرب وتفضل معنا رجال آخرون وأخذ يعاقب القهوة والحليب وبعد صلاة العشاء دعانا قائلاً: تفضلوا على ذبيحة راعي الحصان. فتفضلنا ونحن لا نعلم من المراد براعي الحصان. وبعد تناولنا طعام العشاء جلسنا فقال: ياجماعة الخير أنا عرفتكم بوسم الحيِّة على ركايبكم ولا أنسى كرم أميركم. ففي سنين مضت قلّت الأمطار وتوالى الدهر علينا فاحتجت إلى مبلغ من المال لأشتري إبل سني لأصدِّر وأزرع هذه المزرعة فذهبت إلى ابن عبدالجبَّار في المجمعة فاعتذر بسبب أن المزارعين لم يستطيعوا تسديد ما حلَّ عليهم من ديون، فخرجت من عنده وشدِّيت حماراً عندي وقصدت بريدة وقد ذُكِرَ لي ابن مشيقح فقابلته وعرَّفته بنفسي وبحاجتي فاعتذر وقال: يا ولدي هذا باب لو نفتحه ما طلعت الشمس وعندنا ريال واحد.

---

(١) شد: أي رحل.

وبحثت عن ديَّانٍ آخر فلم أجد فركبت حماري وعدت قبل صلاة العصر وسلكت جادة البطين (الشماسية) وكان يوماً قارس البرودة مع رياح شرقية شديدة يصحبها ذِرْذِرٌ وقبل الغروب أشرفت على الشماسية من فوق رأس النفود فإذا برجل بإحدى الحياييل وعلى كتفه مسحاة فهزعت عليه وعندما دنوت منه هَـلاّ قائلاً: (يا هلا بِرَاعَ الحصان) -فقلت في نفسي أيسخر منّي لماذا أركب الحمار مع ما أنا فيه من ضيق وجوع وبرد- وأدخلني وأشعل النار وقدم التمر وبعد العشاء دعا الجيران وتعشينا ومن سوالفهم عرفت أن مضيفي (أبو علي) فلما انصرفوا سألته عن نفسه فقال: فيصل الفوزان فَعَرَّفْتُه باسمي وقصتي فقال: الخيرة خفيِّة يا ولدي اطرد الهم بالفرج وإن شاء الله المطر يبي يعم نجد كلها ولن تصل أهلك إلا وشعيب المِشْقَر يمشي ويُيَسِّرَ الله حاجتك من المجمعة وفي الصباح ودعته جزاه الله خيراً. وعند العقدة الجنوبية قابلت رجلاً فقال: تقهو يا رجل فقلت أنا صادر من عند ابن فوزان (ابو علي) بالعقدة الشمالية. فقال: ونعم هذا أبو الجميع أميرنا فعرفت بأن أبو علي أمير الشماسية. وأُبَشِّركم بأنني ما وصلت إلى شعيب المشقر إلا وهو يجري وجيِّد وعيالي ذكروا لي بأن ابن عبدالجبَّار ينشد عني من مدة يومين فقلت الحمد لله قَبِلَ الله من راع الشماسية. أنتم تعرفونه يا عيالي فقال راشد (راوي القصة) أنا ابن أخيه وهذا خالي. فقام وأعاد السلام وحَمَّلنا سلاماً للأمير والجماعة.

خديجة تسلم من عملية اختطاف بسبب الجدري:

شد عشوان بن عبدالله بن عشوان الهابس من العقدة الشمالية بالشماسية على بعيرين عام ١٣١٨هـ ونزل خِبَّة الشِّداد بخبيب الشماسية يحش السبط ويجلبه على سوق عنيزة وكانت معه حفيدته خديجة بنت غيث بن محمد الغيث وكانت طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها ست سنوات تساعده في الأعمال البسيطة كجمع السبط وتقريب العدايل ورعي البعارين وفي إحدى الأيام أغار عليه خمسة حنشل "قطاع طريق" وأخذوا بعيريه واختطفوا البنت وأركبوها على أحدهما بعدما تعرض أحد الحنشل لعشوان بضربة مشعاب حتى أغمى عليه فلما أفاق لحقهم وهو يصوت: يا الرَّبع ترى البنت ما تنفعكم البنت مجدورة. وكانوا لا يخافون من شيء أكثر من خوفهم من الجدري لذلك صدقوه فتنحوا عن خديجة والبعير الذي تركبه فسلمت وسلم بعيرها من اختطاف مؤكد بسبب توفيق الله لجدها وإحضاره للادعاء بما يخافون منه.

كسير معركة البكيرية:

يروى عن عبدالله بن عبدالعزيز بن صالح المطوع وهو ممن اشتركوا في معركة البكيرية قوله: بدأت المعركة ظهراً وأثناء القتال قُتِلَ أناس كثيرين من الطرفين وأُصبت بطلقةٍ كسرت ساقي اليمنى فأراد عمي محمد بن قاسم بن عبدالمحسن المطوع مساعدتي فسحبني إلى عثمور كبير وقال: "اتق" اختف وأنا عمِّك ويُفَرِّجها الله وتركني وذهب يقاتل. فأخذت أحبو وأجر بندقيتي تجاه المخيم كلما توارى القوم وأثناء ذلك لحقني ثلاثة فترست لهم فلما قربوا أطلقت على الموالي ثم الثاني وانكسر الثالث هارباً وأنا في مترسي ثم زحفت على بندقيتهيما ودفتهما وواصلت الزحف. وعند الغروب أقبلت على جماعة من ربعنا أهل القصيم وبينهم رجل من الأعيان يصيحون عليه ويلملمون إصاباته وينقطون بحلقه الماء وكنت أكاد أهلك من التعب والظمأ ولكنهم لم يلتفتوا إليَّ لأن مصيبتهم أعظم!

ثم واصلت الزحف حتى سمعت بعد الغروب العشواني يصوت فهو ممن يبحثون عن المصابين الذين فيهم حياة وغير ميئوس منهم فأسقاني من قُربة كان يحملها على كتفه ثم حملني معها حتى أوصلني الجماعة في المخيم ومعهم ابني صالح الذي ذهب إلى أحد أحواش الإبل بالبكيرية فكسر جمجمته[1] وقاد ذلولاً بشدادها فركبناها ونصينا رجَّال الجماعة ابن سَعَيِّد بعنيزة فبتنا عنده فأكرمنا وجبروا كسري وداووني "بكبو" الأثل وبعد منتصف الليل سرينا من عنده وبعد صلاة الفجر وصلنا أهلنا بالشماسية.

الجن يكسرون رجله:

كان عبدالله بن سالم بن حمد السالم مع صاحب له ومعهم إبل ذاهبين من الرياض إلى الأحساء وذات مساء وعند غروب الشمس وفي الطوقي شمال شرق الرياض أناخا الإبل ليرتاحا وترتاح إبلهم رأى أبو سالم (عبدالله) أرنباً قفزت وصعدت إلى عرض القارة وأقعت تنظر إليه وكانت بندقيته معه فصوبها نحو الهدف ثم رمى فأقبلت الأرنب إليه مسرعة تلوح رجلها حيث كانت الإصابة في الورك ومرت بينه وبين بعيره ثم اختفت بين الإبل ومن ثم رجعت إليه قريباً من قدميه وكررت ذلك عدة مرات وهو مذهول لا يدري ماذا يعمل حيث إن البندقية تحتاج إلى تعبئة (مقمَّع)

(١) جمجمته: قفله.

حتى اشتد الظلام ولم يدر أين ذهبت ولما صلوا العشاء ناموا فرأى في المنام جماعة لا يحصيهم عدداً يقفون بأجسامهم الصغيرة جداً على صدره وجميع جسمه ومن حوله وأصبح لا يستطيع تحريك جسمه حتى ولا لسانه ولهم جلبة وأصوات فهم أنهم يأتمرون به ليقتلوه إلا أن منهم من يقول: بل نكسر رجله مثل ما كسر رجلها وبينما هم كذلك قام مجموعة منهم بمد رجله جانباً بالقوة حتى انكسرت فقالوا اتركوه كسرنا رجله ثم انصرفوا جميعاً. فعاد إلى وعيه إلا أنه وجد رجله اليمنى مفكوكة تمتد أفقياً فحاول ضمها إلى الأخرى فلم يستطع فصاح بصاحبه فجاء إليه وقص عليه ما حصل. فحمله على بعيره حتى قدما الأحساء وبقي مدة شهر على الفراش حتى شفاه الله وإن كان لا يزال يحس أثر ذلك حتى الآن متعه الله بالصحة وحسن العمل والختام.

عقوبة عاجلة:

يروي بعض كبار السن عن مقبل البديني رحمه الله قوله: في يوم مطير خطرت أعرابياً في نفود الثويرات وأثناء قيام الأعرابي بواجب الضيافة من شب النار وعمل القهوة زادت البروق والرعود فقال مشيراً إلى السحاب: والله إنك مثل البعير الهدور وخلال صبه القهوة نزلت صاعقة عظيمة فاصابت سبع نياق.

زُهيّه تعود إلى صاحبها:

فقد محمد بن علي السهلي نعجة من قصره مصروعه بالبرجسيات وبعد عام من فقدها رآها مع قطيع أغنام جلبت للبيع بسوق الماشية ببريدة فقال لصاحب الأغنام: هذه النعجة نعجتي فطلب من محمد البينة فقال بينتي أناديها باسمها فإن جاءت فهي نعجتي وإن لم تأت فهي نعجتك فقبل فصاح محمد باسمها فرفعت رأسها وثغت وكرر نداءها فخرجت من القطيع جهة الصوت فأخذها.

وليمة فرح:

كان عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله المطوع من الذين أجبرتهم ظروف المعيشة القاسية على ترك البلاد والأهل والسفر إلى البلاد المجاورة للبحث عن عمل يضمن أدنى حد من الكفاف فاختار الكويت أيام الغوص فعمل في البحر مع مجموعة من أهل نجد وغيرها تعمل في سفينة. ويروي عنه كبار السن قصصاً مروعة ومواقف صعبة يقول أبحرنا ذات يوم وبعرض البحر اشتدت الريح حتى كادت الأمواج أن تفرقنا و"النوخذا" يحاول التعامل مع الأمواج الهائجة وقد نشب السبب

بين صخرتين فحاولنا إطلاقه فلم نستطع فاختارني "النوخذا" للغوص وإطلاق السبب فلبست الخطام وغصت عليه وأطلقته فاندفعت السفينة بقوة فانفلت السبب من يدي فأخذت الأمواج تقذفني بكل اتجاه حتى أشرفت على الموت والقوم ذهلوا لعدم تمكنهم من السيطرة على السفينة وبتوفيق من الله وفق أحدهم إلى إنقاذي حيث استطاع أن يناولني سبباً[1] فأمسكت به بعد مشقة فسلمت من غرق محقق فصفق الجميع ولفرحهم بسلامتي وسلامة السفينة وعد "النوخذا" الجميع بوليمةٍ كبيرة على حسابه الخاص عملها ودعا لها كثيراً من أصحابنا من أصحاب السفن والغواصين.

نحن بِنِعْمة:

يروى عن هيلة بنت ناصر الحبيِّب إحدى الجدات الفاضلات ما يوجب علينا الشكر لله عز وجل بما هو أهله على ما نحن فيه من نعم لا تحصى تقول: كنت ابعث ولدي إبراهيم بن محمد الأبوسعد إلى والدتي مزنة بنت ناصر المطوع بالعقدة الشمالية بين الحين والآخر فتعطيه تمرة أو تمرتين يأكل واحدة وأمرس الأخرى لأخيه الصغير وذات مرة أعطته ثلاث تمرات وسحيفة[2] قرعة شام وعندما حاذى العُليَّا راجعاً لاقاه شاب في سنه فأخذ منه السحيفة وهرب بها. فجاء إبراهيم يبكي ويقول: فلان أخذ القرعة. فلبست ثوبي وذهبت إلى العليا وقرعت باب أهله ودخلت فشميت النار فإذا بالقرعة تطبخ بحوش البعارين دون علم أهل القصر فأرقت ماءها ووضعتها في كُمي فأعدت طبخها بالماء والملح وقدمتها لأبنائي.

يمين أم عبدالله:

هي مزنة بنت حمد بن محمد الهميلي إحدى الجدات الصالحات اشتهرت عند معاصريها بالورع ونقاء السريرة وكثرة التصدق بما يقع بيدها والدعاء لعامة المسلمين، خرجت صباح يوم إحدى السنين التي تأخر فيها نزول الأمطار (دَهَرْ) مع بعض النسوة من البرجسية ليجمعن عروق السبط والثنداء من نفود البرجسية ويعلفْنَه أبقارهن. وكانت حصيلتهن من ذلك قليلة لا تكفي لإعلاف بقرة حلوب تعتمد عليها الأسرة خاصة عائلة أم عبدالله، فلما قرب الظهر رجعن وعلى رأس النفود أردْن أن يأخذن قسطاً من الراحة حلفت أم عبدالله على ربها قائلة: والله يا ربي إن ما

(١) سبباً: حبلاً.

(٢) سحيفة: قطعة.

سَيَّلْتَنَا قبل العصر إني لأذبح بقرتي وأعشيها أهل البرجسية. فضحكن عليها فرحاً بهذه الوليمة التي سيحصلن عليها هذا اليوم فهي تفعل ما تقول. ولكن الله جلّت قدرته قبل منها هذا اليمين فرحم الناس بسببها، يقال فلم يصلوا العصر إلا والأمطار تهطل بغزارة على البرجسية حتى جرت التلاع فأسقت النخيل والحيابيل حتى تغطت "الكلالي" والقناطر فسلمت بقرة أم عبدالله.

شُج رأسه فأبصر:

يروي عبدالرحمن بن عثمان بن عبدالله اليحيى قصة ذهاب بصره وعودته ويقول:

تعلمت القراءة والكتابة في المدرسة السعودية في بريدة في حدود عام ١٣٥٨هـ وبعدها كُفَّ بصري إثر وجع أصاب عينيَّ وقد عالجته بالأدوية الموجودة في ذلك الوقت ثم لجأت للكي فلم أستفد شيئاً وفي أواخر عام ١٣٧٢هـ كنت في غرفة أسكنها في الرياض وهي للفاضل محمد بن سنان غفر الله له ولوالديه فقد كان محباً لطلبة العلم وهو مساعد الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، فخرجت أريد الوضوء وأداء صلاة العيد وذلك من بئر "قليب" عليها محَّالة ودلو لنزح الماء باليد فصادف أن حذفها أحد الطلبة الذي يسكنون في المسجد بحجارة ارتدَّت فأصابت حاجب عيني الأيمن فسال دمي، لذلك رجعت إلى غرفتي ولم أصلي لأن ثوبي الوحيد تلطخ بالدماء، وفي ضحى اليوم التالي خرجت لحضور اجتماع دوري لطلبة العلم على الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم غفر الله له سالكاً شُويرعاً تخرج من بعض بيوته مياه كنت أتحاشاها بعصاي لئلا تنجس ثوبي وعندما اقتربت منها هذه المرة رأيتها بعينيَّ فذهلت ورجعت إلى غرفتي وأنا في حالة خوف وفرح شديدين حيث لم أصدق أنني أبصرت ولكي أتأكد فتحت المصحف لأقرأ فإذا أول آية أبصرها بعد تلك السنين الطويلة قوله عز وجل "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور" الأنعام.

ومن شدة الفرح لم أخبر أحداً من زملائي طيلة ذلك اليوم ومازلت مبصراً والحمد لله أولاً وآخراً على نعمه الظاهرة والباطنة.

ناصر بن علي الوليعي ولوعة الفراق:

توفيت زوجة ناصر بن علي الوليعي رحمها الله في فصل الصيف وفي الشتاء اشتغل عند عبدالعزيز البليهي فأرسله على ناقة لأجل جلب خصف تمر من الربيعية وركب الناقة ومر على

الشماسية مع طلوع الفجر وعندما وصل الغرسات إذا بامرأتين تخرجان من بيتيهما وهن أم سدرة ومزنة العمر وينادين خويتهن رقية السليمان، وعندما سمع اسم رقية وقف مذهولاً من ألم الفراق وتذكر زوجته التي توفيت واسمها رقية السريع أم عبدالكريم التي أحبها كثيراً وحزن لفراقها حزناً شديداً حتى أنه تزوج بعدها عدة مرات ولم يصبر عليهن. وقد استمر وقوفه لا يدري أين يذهب فذهبت الناقة وحدها. وعندما وصلت حوسه رجعت إلى حوش العزيز ووقفت عند الباب. يقول ناصر الوليعي: والله ما دريت وين أنا حتى أصبحت. ثم أنشد قصيدة رائعة طويلة نفث فيها ما يحسه من ألم الفراق منها هذه الأبيات:

أول عَذاب القلب يوم الله أشقاه ... قامت عَجوز صوتّت باسم خلي
قبله وانا دَالِه ولا نيب ويّاه ... واليوم طَار العقل وازريت أصلي
عسى رِفيع العرش يكشف مغطاه ... وعساه عمياً قادوه ما تدلي
ينباج انا قلبي ايلا اوحيت طرياه ... بالحل يا اللي شم ريحه دواً لي
وبالحل يا اللي كل ما جيت ابنساه ... ناظرت انا سلمى[1] دموعه تهلي
وبالحل يا اللي ما لقينا حلاياه ... يفدنّه الخفرات دقّ وجلّي
الله طلبته يسقي القبر من ماه ... ينبت عليه أشجار للحور ظلي
تجبر عزانا دامنا ما لحقناه ... وتجبر عزا اللي جاه بالعقل خلي[2]
وصلاة ربي عدّ ما وردّوا ماه ... على نبي عادل ما يزلي

(١) سلمى ابنته وكانت صغيرة وقتها.
(٢) خلي: اختلال بالعقل.